دراسات
في
التجويد والأصوات اللغوية

تأليف

الدكتور عبد الحميد محمد أبو سكين

أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة

في كلية اللغة العربية بالقاهرة

الطبعة الثانية

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

وبعد ..

فالتجويد حلية التلاوة ، وزينة القراءة ، وهو إعطاء الأصوات حقها وترتيبها ، ورد الصوت إلى مخرجه ، وأصله ، وإلحاقه بنظيره ، وتصحيح لفظه ، وتلطيف النطق به على صيغته ، وكمال هيئته من غير إسراف ، ولا تعسف ، ولا إفراط ، ولا تكلف .

ولا شك أن الأمة الإسلامية كما هم متعبدون بفهم القرآن الكريم ، وإقامة حدوده ، متعبدون بتصحيح ألفاظه ، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالرسول ﷺ ، والتي لا يجوز مخالفتها ، قال تعالى : ﴿ قرآنا عربيا غير ذي عوج ﴾ .

ودراسة أصوات اللغة العربية تحقق هذه الغاية المرجوة ، وتحقق الهدف المنشود ، وتنير الطريق أمام الدارسين ، وتأخذ بيد الباحثين في هذا المجال .

والدراسة الصوتية ليست ترفا علميا ، بل هي الأساس لأي دراسة لغوية .

ولقد عرف أسلافنا لهذه الدراسة قدرها ، وبنوا عليها الكثير من الآراء في مختلف الدراسات اللغوية ، في إصلاح الكتابة العربية ، وفي النحو ، والصرف ، والمعاجم ، والعروض ، والأهم من ذلك كله « علم الأداء القرآني » ، وسائر العلوم اللسانية ، وكان الحافز لهذا كله العامل الديني ، وهو الحفاظ على القرآن الكريم من أن يقتحمه خطأ في النطق أو الفهم .

ونظرة فاحصة في كتب التراث تظهر لنا هذه الحقيقة واضحة للعيان .

ومما لا شك فيه أيضا أن الدراسة الصوتية تقدمت في عصرنا هذا تقدما يواكب النهضة العلمية في مختلف المجالات .

من هنا كان لزاما علينا ربط الحديث بالقديم ، إذ هو فرع له ، ومبني عليه .

فالقديم كالغادة الباسقة ، والحديث كالفروع لها والأغصان ، يؤتي ثماره لمن حافظ على القديم واستوعب الحديث .

وهذا الكتاب يقدم للقارئ دراسة مبسطة محافظة على جوهر القديم في ضوء الحديث .

ولا يسعني إلا أن أدعو الله جلت قدرته أن يثيب أسلافنا جزاء ما قدموا لنا في هذا المجال .

كما أدعو الله العلي القدير أن يتغمد برحمته أساتذة كراما في عصرنا هذا ، وأن يطيل في أعمار إخوان لهم فتحوا أمامنا الأبواب على الدراسات الحديثة ، وتحملوا في سبيل ذلك مشقة السفر ، ومرارة الاغتراب ، في سبيل العلم ، وتذليل العقبات أمام أبناء لغة الضاد ، ووضع أنضج الثمار في هذه الدراسة بين أيديهم ، لتعود بالفائدة المرتجاة على لغتنا العربية ، لغة القرآن الكريم .

والله ولي التوفيق ، ومنه العون .

ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير ،،،

أ.د. عبد الحميد محمد أبو سكين

علم اللغة والأصوات

الدراسة الصوتية فرع من فروع علم اللغة ، إذ من الأصوات تتكون الكلمات ، ومن الكلمات تتكون الجمل ، ومن الجمل تتكون العبارات والأساليب اللغوية .

ودراسة الأصوات التي تكون الألفاظ تعرف عند المحدثين من العرب باسم علم الأصوات ، وكان القدماء يطلقون عليها « علم التجويد » .

وهذا المبحث يدرس أصوات اللغة من زوايا عديدة ، فيعرض لها من ناحية النطق ، وما يرتبط بذلك من سمات صوتية دون النظر إلى وظائفها ، أو قيمها اللغوية في الكلمات التي تتألف منها ، وهذا ما يسمى بالخواص العامة للأصوات دون التعرض لمميزاتها الخاصة التي ترتبط بمعانيها في اللغة اللفظية ، وهو ما يعرف بالفوناتيكس Phonetics .

أما إذا كانت الدراسة للأصوات من ناحية قيمتها ووظائفها في اللغة المعينة فيطلق عليها علم الأصوات التنظيمي ، أو علم وظائف الأصوات ، وهو ما يسمى بالفنولوجي Phonology .

ويجدر بنا أن نشير إلى فروع القسم الأول « الفوناتكس » :

(أ) إذا كانت الدراسة الصوتية في لغة ما من اللغات الغرض

منها بيان الحقائق الصوتية موجهة للمخارج والصفات ، وكيفية النطق ، وأثر بعضها في بعض ، وما يعرض لها من تبدلات ، ثم دراسة أعضاء النطق المختلفة ، فكل هذا يسمى بعلم الأصوات الوصفي .

(ب) وإذا كانت الدراسة الصوتية في لغة ما في فترة طويلة من الزمان ، وكان الغرض منها تتبع الأصوات لغرض الوقوف على ما أصاب هذه الأصوات من تطور وتبدل ، ومعرفة القوانين التي خضعت لها في هذا التطور ، فيسمى هذا النوع « علم الأصوات التاريخي » .

(ج) وأما إذا كانت الدراسة خاصة بلغتين لمقارنة أصواتهما وكشف وجوه الشبه والاتفاق أو أوجه الخلاف بينهما سمي « علم الأصوات المقارن » .

(د) وإذا كانت الدراسة الصوتية عامة لكل اللغات لغرض الوقوف على حقيقة الأصوات اللغوية ، وما يتحكم فيها من قوانين عامة تخضع لها في تطورها وتغيرها ، فنسمي هذه الدراسة الصوتية : « علم الأصوات العام » .

وكما تفرع هذا القسم إلى هذه الفروع ، فكذلك القسم الثاني وهو الفنولوجي يتفرع إلى أربعة فروع ، أو أربعة مباحث ، هي :

(أ) الفنولوچيا الوصفية .

(ب) الفنولوچيا التاريخية .

(ج) الفنولوچيا المقارنة .

(د) الفنولوچيا العامة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مباحث الفوناتيك والفنولوچيا متداخلة تداخلا شديداً ، بحيث يصعب على المرء في بعض الأحيان الفصل بينهما ، أو التمييز بين بعضها .

* * *

أهمية الدراسة الصوتية

السيطرة على اللغة لا تتم بدون دراسة أصواتها ، شأنها في ذلك شأن الدراسة النحوية والصرفية ، إذ إن الاختلاف في النطق كالاختلاف في قواعد النحو والصرف ، فإن عُدَّ الاختلاف في قواعد النحو والصرف خروجا على المعيار السليم والمقياس الصحيح ، حكم بالمثل على الاختلاف في النطق ، وكما يجب التنبيه على الخطأ النحوي والصرفي ، يجب أيضاً التنبيه على الخطأ في النطق .

ومن هنا يجب علينا أن ندرس الأصوات اللغوية كدراستنا للنحو والصرف ، إذالسيطرة على اللغة لا تتم بدون دراسة أصواتها وقواعدها النحوية والصرفية .

والدراسة الصوتية تخدم القرآن الكريم ، وذلك يقتضينا أن نعني بها أشد عناية ، وأن نتعمق في أصولها ودقائقها ، وأن نوسع ميادينها ، بحيث تشمل كل العلوم اللسانية ، حتى تظل لغة الضاد ، لغة كتاب الله ، سليمة خصبة ، إذ في صحتها صحة أداء القرآن الكريم وسلامته .

وتظهر أهمية الدراسات الصوتية في كونها وسيلة من وسائل تعليم اللغة الفصحى تعليما سليما ، فالمتعلمون في المراحل الأولى معرضون للخطأ في نطق اللغة ، نظراً لاختلاف البيئات التي نشئوا في أحضانها ، ولكل عادات نطقية تخالف الأخرى من جهة ،

والفصحى من جهة ثانية .

فإذا ما أرشد هؤلاء المتعلمون إلى أصوات اللغة ونطقها النطق السليم ، سهل عليهم إجادتها ونطقها وحسن أدائها ، وبالتالي تخلصوا بالتدرج من العادات النطقية التي نشئوا عليها ، ومن هنا تظهر لنا أهمية الدراسة الصوتية في المحافظة على اللغة ، والعمل على إجادتها ، والتمكن منها ، فتعليم أصوات اللغة المشتركة أمر ضروري للغاية للتخلص من الخلاف في المخارج أو الخلاف في صفات الحروف ، ويظهر لنا الفرق جلياً في اختلاف القاف في العامية عنها في الفصحى ، وكذلك الجيم والضاد ... إلخ [١] .

ومن هنا يظهر لنا بجلاء أن الدراسة الصوتية لا تقل أهمية عن الدراسة النحوية والصرفية .

ونظرة فاحصة للخطباء والمدرسين والقضاة والمذيعين وغيرهم يتبين لنا أن هؤلاء جميعا لا يستطيعون القيام بعملهم على الوجه الأكمل واللائق بهم ، دون أن يلموا بصورة أو بأخرى بخصائص النطق وقواعد الأداء السليم .

وفوق هذا وذاك أن الأصوات هي المظهر الأول للأحداث اللغوية ، وهي بمثابة اللبنات الأساسية التي يتكون منها البناء الكبير .

---

(١) علم اللغة العام (القسم الثاني : الأصوات) ، أ.د. بشر ص٢٤٠ بتصرف.

وتظهر أهمية دراسة الأصوات في المباحث الصرفية ، إذ إن القواعد الصرفية منبعثة أساسا على ما تقرره الدراسة الصوتية من حقائق ، وما ترسمه من حدود ؛ وكل دراسة صرفية لا تراعي الدرس الصوتي مصيرها الفشل والضياع ، وهذه الحقيقة تظهرجلية لمن يعالج المسائل الصرفية ، ولديه قدر كاف من الدرس الصوتي .

وهناك أهمية أخرى للدراسة الصوتية تظهر جلية واضحة في القواعد النحوية .

فالمادة النحوية تتألف من عناصر صوتية ، وأخرى صرفية ، وهذا يعني بالضرورة ربط النحو بالدراسة الصوتية والصرفية ، ومن الخطأ الواضح أن تعالج القواعد النحوية بمنأى عن المباحث الصوتية والمباحث الصرفية .

الدراسة الصوتية عند قدماء العربية

من أحسن ما عرض له العرب في دراسة الأصوات ما تجده عند الخليل من وصف الجهاز الصوتي ، وهو الحلق والفم إلى الشفتين ، وتقسيمه إياه إلى مناطق ومدارج يختص كل منها بحرف أو مجموعة حروف ، وما أشار إليه الخليل أيضا من « ذوق الحروف » لبيان حقيقة المخرج ، فقد هدي بذكائه المتفوق في ذلك إلى مقاييس صحيحة ، أقر كثيرا منها علماء الأصوات المحدثون ، وكذلك قوله في الحركات إنها أبعاض حروف الد ، واختراعه علامات الضبط التي

لا نزال نستعملها حتى اليوم من فتحة وضمة وكسرة [١] .

وفي كتابه « العين » أول معجم في العربية سار على الترتيب الصوتي ، والحق أن هذا المبدأ كان المنطلق الحقيقي للدراسات الصوتية في اللغة العربية ، فلقد نجح علماء العربية بعدالخليل نجاحا يستحق الثناء والإكبار ، وما إن وضع الخليل بن أحمد فكرة الترتيب الصوتي حتى أخذه عنه تلميذه وحامل علمه « سيبويه » ، وأدخل على هذا الترتيب تطويراً وتبديلا ، ومن هنا خالف سيبويه أستاذه في الكثير من جزئيات هذا الترتيب [٢] ، وأدخل عليه تطويرا وتعديلا .

---

(١) انظر : كتابنا فقه اللغة ، الطبعة الأولى ص ١١٢ وما بعدها .

(٢) ترتيب الحروف قديما كان يسير على الأبجدية الفينيقية ، بالإضافة لحروف الروادف : أبجد هوز حطي كلمون سعفص قرشت ثخذ ضظغ .
ثم دعت الحاجة إلى الإعجام ، لأن الحروف لم تكن معجمة (أي منقوطة نقطا يميز بعضها عن البعض ، كنقطة الجيم التي تميزها من الحاء المهملة ، ونقطة الذال التي تميزها من الدال المهملة) ، فطلب الحجاج من نصر بن عاصم الليثي أن يقوم بهذه المهمة مع زميله يحيى بن يعمر العدواني ، تلميذي أبي الأسود الدؤلي ، فرتبا الحروف الهجائية الترتيب العادي : أ ب ت ث ، حيث جمعت الحروف المتشابهة ، ولقد تأخر انتشار ترتيب نصر بن عاصم وزميله ، ولم يكتب له الذيوع والانتشار إلا في أواخر القرن الثاني الهجري ، وظل الأمر على هذاالترتيب إلى أن جاء الخليل بن أحمد ورتب الحروف بحسب مخارجها ، حين شرع في عمل معجم العين ، وبدأ بحروف الحلق ، ثم الحنك ، ثم الأضراس ، ثم الشفة ، وأخر في العلة ، ولم يجعل الهمزة أولا ، وإنما جعلها في آخر حروف الهجاء ، حيث جاء ترتيبه هكذا :
ع ح هـ خ غ - ق ك - ج ش ض - ص س ز - ط د ت - ظ ث ذ - ر ل ن - ف ب م و ا ي ، ثم الهمزة . ==

ومن أهم ما خالفه فيه هو موقفه من الهمزة ، حيث جعلها أول الأصوات العربية وأبعدها مخرجا ، وسيبويه بصنيعه هذا يوافق البحث الصوتي الحديث الذي أثبت أن الهمزة هي أول الأصوات العربية مخرجا ، فهي من فتحة المزمار ، والوتران الصوتيان عند النطق بالهمزة لا يوصفان بالاهتزاز ولا بعدمه .

واستطاع سيبويه أن يغير كذلك من تصنيف الخليل للأصوات إلى مجموعات بحسب قربها أو بعده في المخارج ، ونقل عنه كذلك الكثير من المصطلحات والعبارات الصوتية ، وكان تطوير سيبويه لعمل أستاذه هو الأساس لعلماء العربية في مجال الأصوت في جميع المجالات .

ثم كان ابن جني والذي برز في هذا المجال من الدراسات ، فلقد فاق الخليل وسيبويه بما قدم من تفريعات وتفصيلات ، ووضع مناهج وتحليلا للأصوات و يظهر هذا جليا في كتابه « سر صناعة الإعراب » ، والذي يدل على نضج واكتمال الدراسات الصوتية عند

== انظر : كتاب العين جـ ١ ص ٤٨ ، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وإبراهيم السمراني ص ٤٨ .

وخالف سيبويه أستاذه فكان ترتيبه على الوجه الآتي :

الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والباء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو .

انظر : الكتاب جـ ٤ ص ٤٣١ ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

وعدد حروف الهجاء عند الخليل وسيبويه تسعة وعشرون حرفا كما ترى .

اللغويين في القرن الرابع الهجري ، ويكفي أن نجمل الدراسات الصوتية في « سر صناعة الإعراب » فيما يلي ، حتى نعرف مدى ما وصلت إليه هذه الدراسة :

١ ـ عدد حروف المعجم وترتيبها وذوقها .

٢ ـ وصف مخارج الحروف ـ وهي الأصوات ـ وصفا تشريحيا دقيقا .

٣ ـ بيان الصفات العامة للحروف ، وتقسيمها إلى أقسام مختلفة .

٤ ـ ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغير يؤدي إلى الإعلال ، أو الإبدال ، أو الإدغام ، أو النقل ، أو الحذف .

٥ ـ نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ، وأنها راجعة إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج .

ولم يبذل ابن جني [كما يقول محققو الكتاب] في شرح هذه النظرية الأخيرة ما بذله من جهد في سائر مباحثه الصوتية ، وإنما تركها في إجمالها لمن يأتي بعده من الدارسين ، ليعملوا فيها رأيهم ، ويقرروا الحكم عليها صحة وخطأ ، ومصيرها من حياة أو موت [١] .

من هنا يتبين لنا أن بذور الدراسات الصوتية وضعها الخليل بن أحمد ، وتعهدها بالرعاية والعناية تلميذه سيبويه ، ثم نضجت وحان

---

(١) سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ١٤ .

قطافها عند ابن جني من علماء القرن الرابع الهجري .

والحق أنه لم يخف على علمائنا الأقدمين أن اللغة « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » [١] .

وقد أفاضوا في دراسة هذه المادة اللغوية الصوتية ، ونتيجة لذلك عرفوا لكل حرف صوته صفة ومخرجا ، مثلما عرفوا له إيحائه دلالة ومعنى .

أثر الدراسة الصوتية في فروع الثقافة العربية :

وقد شاعت آثار الدراسة الصوتية التي قام بها الخليل بن أحمد ، ومن بعده تلميذه سيبويه ، ثم ابن جني في القرن الرابع الهجري في نواح مختلفة من الدراسات العربية ، نجملها فيما يلي :

١. في المعاجم اللغوية :

لم يترك أصحاب المعاجم اللغوية شيئا من كلام ابن جني أو من قبله في ظواهر الإعلال والإبدال والإدغام والحذف والزيادة ، ونحو ذلك ، إلا نقلوه عنه وسلموا له القول فيه ، واعتقدوه القول النهائي فيما هم بصدده ، والشاهد على ذلك ما نراه في المحكم والمخصص لابن سيده الأندلسي ، ولسان العرب لابن منظور المصري اسم ابن جني في كل مسألة تصريفية أو صوتية .

---

(١) الخصائص جـ ١ ص ٣١ .

٢.علماء التجويد أو أصحاب الأداء القرآني :

فقد نظم أصحاب الأداء القرآني قواعد ودراسات اشتقوها من دراسات الخليل بن أحمد وتلاميذه ، ومن دراسات الكوفيين ، وألفواالكثير من الكتب ، منها المطول ، ومنها المختصر ، منها يتعلم الناس كيف يؤدون تلاوة القرآن الكريم أداءً صحيحا لا عوج فيه ولا انحراف ، ولم يزيدوا على أصول قواعد الأصوات شيئا ، وإنما زادوا الشيء الكثير في التفاصيل [١] .

ومن يرجع إلى كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري (المتوفى سنة ٨٣٣هـ) يتضح له هذه الحقيقة كاملة .

٣.علماء البلاغة والنقد :

استفاد علماء البلاغة والنقد من الدراسات الصوتية وخاصة فيما سموه فصاحة اللفظ المفرد ، وجميع ما قالوه راجع إلى ما قاله الخليل وسيبويه وابن جني في هذا المضمار .

منهم على سبيل المثال علي بن عيسى الرماني ، أشهر من عرض

---

(١) أضاف علماء الأداء القرآني « فن التجويد » زيادات وتفصيلات كثيرة ، وأحكام تطبيقية في كتبهم الخاصة ، مما كان له الأثر البين في الحفاظ على سلامة اللغة ، وبعدها عن الانحراف في النطق ، وقد سعوا إلى وصف « تلاوة القرآن الكريم » حسب القراءات القرآنية المختلفة ، فسجلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية ، ووضعوا رموزا كتابية تمثل هذه الخصائص .

لذلك في أسلوب علمي بعد الجاحظ في كتابه « النكت في إعجاز القرآن الكريم » [١] ، وابن سنان الخفاجي (المتوفى سنة ٤٦٦هـ) في كتابه « سر الفصاحة » ، وهو يعد بحق وبصدق التلميذ الحقيقي لابن جني ، لأنه سار على منهجه في سر صناعة الإعراب ، حيث أخذ كلامه بنصه ، ومزجه بكلام الفلاسفة في الأصوات ، وبنى على ذلك كتابه « سر الفصاحة » من أوله إلى آخره .

ونجد أن السكاكي في كتابه « مفتاح العلوم » يذكر أن عدد الحروف الهجائية تسعة وعشرين ، كما هي عدتها عند الخليل وسيبويه ، ونظر في تقسيمات الحروف من حيث الجهر والهمس والشدة والرخاوة ... إلخ .

ومجمل القول أن علماء البلاغة أفادوا كثيراً من الدراسة الصوتية التي وضع أساسها الخليل ، ونماها تلميذه سيبويه ، وأينعت وحان قطافها عند ابن جني من علماء القرن الرابع الهجري كما أشرنا آنفا .

---

(١) يقول : بعد أن قسم الكلام إلى متنافر ، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا : « والمتلائم في الطبقة العليا القرآن كله .. والسبب في التلائم تعديل الحروف في التأليف ، فكلما كان أعدل ، كان أشد تلاؤما ، وأما التنافر : فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد ، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، وردا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه ، وكلاهما صعب على اللسان ... ومخارج الحروف مختلفة ، فمنها ما هو أقصى الحلق ، ومنها ما هو من أدنى الفم .

انظر : النكت في إعجاز القرآن ص ٨٧ - ٨٩ .

الدراسة الصوتية
نشأتها وتطورها

لمحة تاريخية :

تكلمنا عن الدراسة الصوتية عند قدماء العربية ، وقد يتساءل المرء قائلا : وأين موقع العرب من الدراسة الصوتية عند بني البشر ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول : إن اللغويين منذ القدم شغلوا أنفسهم بالنظرفي الأصوات اللغوية ؛ ولكن ما أوصلهم إليه نظرهم لا يبلغ من الدقة والإتقان ما وصل إليه المحدثون .

فلقد قيل إن أقدم ما أثر من ذلك كان لعلماء مجهولين ، فأقدم صور الكتابة يتضمن كل منها إدراكا لأصوات لغة من اللغات ، إذ تحاول أن تمثلها بعلامات كتابية متطورة [1] .

وأثر عن اليونان وعن تلامذتهم الرومان وعن الهنود ملاحظات صوتية كثيرة .

والمادة المأثورة عن اليونان نجدها في أقوال متناثرة في محاورات أفلاطون ، وفي الشعر والخطابة لأرسطو ، وتوجد أكثرها في كتابات نحاتهم .

---

(١) علم اللغة ، د. محمود السعران ص ٩١ .

أما الرومان، فهم مقلدون اليونانيين في هذا المجال ، كما قلدوهم في كثير من المسائل الفكرية والثقافية ، ونجد المادة الصوتية عند نحويهم [١] .

والآراء الصوتية عند القدماء اليونانيين والرومانيين تقدم في جملتها على الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن .

وهي بهذا تختلف عن الآراء الصوتية لقدماء الهنود والعرب الذين أدركوا الأسس الفسيولوچية في تكوين الأصوات المختلفة [٢] ولم يفطن اليونانيون عند تقسيمهم أصوات لغتهم إلى القسمين الرئيسيين : الأصوات المهموسة ، والأصوات المجردة [٣] ، كما فطن لذلك الهنود والعرب .

وكذلك تصنيف الأصوات بحسب المخارج ، فطن له كل من اليونان والرومان والعرب ، ولكن تصنيف اليونان والرومان يقومان على ملاحظة الآثار السمعية للأصوات ، لا على أسس فسيولوچية كما هو الحال عند الهنود والعرب ، ومن هنا نجد أن تصنيف اليونان والرومان تنقصهما الدقة الواجبة في هذا المجال ، بخلاف تصنيف الأصوات عند العرب والهنود ، فيقومان على فحص وظائف أعضاء

---

(١) علم اللغة ، د. محمود السعران ص ٩٢ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣) سوف نتكلم بعد عن الأصوات المجهورة والمهموسة بشيء من التفصيل بإذن الله .

النطق ، وعلى تحديد مواضعها بالنسبة لكل صوت ، وعلى درجة اتصالها ، وما إلى ذلك .

ويوجد تشابه كبير بين تصنيف الهنود لأصوات العربية على هذا الأساس ، وهناك تشابه آخر بينهما وهو أن الهنود يرتبون الأصوات ابتداء من أقصاها في الحلق إلى الشفتين ، ثم يذكرون الأصوات الأفقية ، وهذا الترتيب نجده عند الخليل وسيبويه ، وهذا التشابه لا يعني أن العرب قلدوا الهنود في ذلك ، أو اقتبسوا منهم هذا الترتيب ، وقد أبطلنا أن الخليل بن أحمد قلد الهنود في هذا الترتيب في كتابنا المعاجم العربية [١] .

وقد بذلت محاولات في عصر تال للتقدم بعلم الأصوات اللغوية ، وهذه المحاولات كان لها أكبر الأثر في إيصال هذا العلم إلى ما هو عليه الآن .

فمنذ القرن السابع عشر أخذت الدراسة اللغوية في أوربا في النهوض ، ومن بين فروع الدراسات اللغوية الدراسة الصوتية ، فقد نالها الكثير من التقدم خلال القرن الثامن عشر ، فازدياد معرفة اللغويين بالتقدم الذي أصاب علم الطبيعة ، وعلم وظائف الأعضاء وازدياد اتصالهم بلغات مختلفة ، واشتغالهم بوصفها وبالمقارنة بين أنظمتها الصوتية ، كل أولئك وغيره كان عاملا له أكبر الأثر من بين

---

(١) انظر : كتابنا المعاجم العربية مدارسها ومناهجها ص ٤٤ - ٤٥ .

العوامل التي أدت إلى تقدم الدراسة الصوتية ، وبإعطائها درجة أكبر من الدقة والضبط .

وصار واضحاً لدى علماء الصوتيات أنه من الممكن وصف الأصوات اللغوية أو بعضها على الأقل ، وتحليلها بالاستعانة بوسائل آلية داخل المعامل الصوتية التي أنشئت خصيصاً لذلك ، واستعان علماء الأصوات في الفترات الأخيرة من الزمن المعونة من العلوم الأخرى لتوثيق ماداتهم ، وتأكيد نتائج بحوثهم ، فاستعانوا بعلم التشريح ، وعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوچيا) ، وقد كانت لهذا العلم آثار واضحة في الكشف عن عملية النطق ، وحقيقة ما يجري عند إصدار الأصوات الإنسانية ، ومن ثم ظهر الإسم الحديث « علم الأصوات الفسيولوچي » ، وأصبح يطلق الآن مرادفا للاسم التقليدي القديم « علم الأصوات النطقي » [١] .

ومجمل القول إن الدراسات الصوتية في القديم كانت مبنية في أساسها على الجانب النطقي ، بوصفه الوسيلة المتاحة التي يمكن الاعتماد عليها في زمن لم تكن فيه الآلات والأجهزة العلمية الفنية التي تساعد على الكشف عن الجوانب الأخرى للتصوف اللغوي .

يظهر هذا واضحا في الدراسات الصوتية عند العرب ، كما

---

(١) انظر : علم اللغة العام ، القسم الثاني « الأصوات » ، د. كمال محمد بشر ص ١٩ .

تشهد بذلك آثارهم العلمية ، والمصطلحات والتصنيفات الصوتية التي خلفوها ممن ورائهم .

وكذلك سار على هذا المنهج غيرهم من الأمم في أوربا وغيرها عندما أتيح لهم التعرف على هذا العلم فيما بعد [١] .

وفي وقتنا هذا استخدمت الآلات والأجهزة العلمية المتطورة في الدراسات الصوتية الحديثة ، والتي تطورت بشكل ملحوظ ، وتنوعت تنوعاً ملموساً .

وعلم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي حديث العهد بالوجود نسبيا ، حيث يمثل المرحلة الوسطى بين النطقي وعلم الأصوات السمعي ، وكان هذا العلم نتيجة تقدم العلوم الطبيعية بفروعها المختلفة .

وبواسطة هذا العلم نستطيع دراسة التركيب الطبيعي للأصوات حيث يحلل الذبذبات والموجات الصوتية المنفصلة في الهواء ، بوصفها مكونة من ذات الهواء الخارج من أعضاء النطق ، ومعنى هذا أن وظيفة علم الأصوات الفيزيائي المرحلة الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع .

وبعض العلماء يجعله شاملا للجانب الأول من جانبي علم

---

(١) انظر : علم اللغة العام ص ١٨ ، ١٩ .

الأصوات السمعي ، وهو الجانب الذي يعني بميكانيكية الجهاز السمعي ، وكيفية تأثره بالأصوات .

وهذا الفريق من العلماء يقصرون علم الأصوات السمعي على الجانب النفسي وحده ، إذ الجانب الأول هو الذي يدخل اختصاص اللغوي ، أما الجانب النفسي لا يعنيهم بطريق مباشر .

أهمية علم الأصوات الفيزيائي في الدرس الصوتي :

هذا العلم أحدث ثورة هائلة في الدراسة الصوتية ، حيث قدم وسائل جديدة لدراسة الأصوات وتحليلها ووصفها ، وهذه الوسائل قربت العون للدارسين في ثلاث صور ـ كما يقول الأستاذ الدكتور كمال بشر ـ ، هي :

١ ـ الكشف عن حقائق صوتية لم تكن معروفة لهم من قبل .

٢ ـ تعديل مناهج الدرس وطرقه ، وتغيير ملحوظ في آرائهم وانطباعاتهم السابقة عن الأصوات .

٣ ـ تأييد بعض الحقائق التي توصلوا إليها بالطرق التقليدية ، وتأكيد الآراء المتعلقة بهذه الحقائق [١] .

وهذه الثورة جاءت نتيجة تطبيق الوسائل الفنية ، والمبادئ

---

(١) انظر : علم اللغة العام ص ٢١.

العلمية المتبعة في علم الفيزياء على الصوت الإنساني [١] .

ولا ننسى أنفسنا في غمار هذا التقدم أن نذكر أن علماء العربية لم يقصروا، بل على العكس من ذلك ، فكما ذكرنا سابقاً أفاضوا في دراسة هذه المادة اللغوية الصوتية ، ونتيجة لذلك عرفوا لكل

---

(١) استغل هذا التطبيق وما يزال بحماس واهتمام بالغين ، إلى الحد الذي جعل هذا العلم يقدم أعظم الخدمات في ميادين أخرى ذات أهمية بالغة في حياة الإنسان والبشرية عامة ، من هذه الخدمات الجليلة :

أ ـ هندسة الصوت وما يتصل بها من الوقوف على طبائع الصوت الإنساني في صورته الثانوية المبثوثة في الهواء بطريقة المذياع أو وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية المختلفة .

ب ـ التحليل الفيزيائي للأصوات يقف خلف الطرائق المختلفة لعلاج أنواع معينة من الصمم وعيوب النطق .

هذا ولم تقتصر أهمية هذا العلم عند هذا الحد ، بل جاوزتها إلى مجالات أخرى لا تقل أهمية عنها ، منها على سبيل المثال ميدان البحث التاريخي في الأصوات ، أو النظر في تغير الأصوات وتطورها ، إذا كان البحث في هذا الميدان يعتمد على فنولوجية ، لأن اللغات القديمة لا يوجد فيها عنصر النطق ، وليس في الإمكان إعادة الحياة لأناس سبقونا منذ آلاف السنين ونستنطقهم كيف نطقوا ، من هنا لجأ العلماء والباحثون إلى القوانين الصوتية العامة للغة معينة ، والتي تستمد من مصادر عديدة ، كتاريخ اللغة المدروسة ، واللغات الوثيقة الصلة بها ، من حيث القرابة في الخلقة أو التكوين ، أو في البيئة الجغرافية ، والاختلاط الثقافي ، ونظام الكتابة ، ومنها افتراض نوع من التطبيق ، بالإضافة إلى عوامل أخرى ، والآن وبعد أن أمكن الاستفادة من التحليل الفيزيائي للأصوات في تفسير بعض أنواع التطور التي تلحقها ، فالأمر أصبح مخالفا لما كان عليه في الماضي ، وذلك يرجع لهذا العلم .

انظر : علم اللغة العام ص ٢١ وما بعدها .

حرف صوته صفة ومخرجا ، مثلما عرفوا له إيحاءه دلالة ومعنى .

وكانت الدراسة الصوتية عند العرب أجود العمل اللغوي من حيث منهج التفكير وطرق الدراسة ، فلقد كان أسلوبهم في هذا المجال أسلوباً صحيحاً يتمشى مع طبيعة المادة ، فلقد اتبعوا الملاحظة الذاتية ، وابتعدوا عن التأويلات ، والافتراضات التي ملأت النحو والصرف وغيرهما ، ونعني بالملاحظة الذاتية التي انتهجوها في الدراسة الصوتية استخلاص الحقائق وتصنيفها ، ووضع القواعد الخاصة بها عن طريق التجربة الشخصية ، أو الانطباع الذهني الناتج عن هذه التجربة ، ففي هذه الحالة التي معنا وهي حالة الأصوات ، تكون الملاحظة الذاتية بتذوق الأصوات ، ومحاولة نطقها فعلياً وواقعيا .

وهذا المنهج في دراسة الأصوات منهج سليم وصحيح ، ولم تزل الدراسة الصوتية الحديثة ، مع ما جد من معامل وآلات للأصوات تعد الملاحظة الذاتية بطريق النطق الفعلي ، والاستماع إلى هذا النطق الأداة الأساسية في البحث الصوتي على كل مراحله وجميع مستوياته .

ولقد كان معظم ما قام بها علماء العربية من ذلك النوع الذي يدخل في إطار الفنولوچيا ، أو علم وظائف الأصوات ، ولقد جاء هذا العمل مركزا على الوحدات الصوتية المادية ، وليس معنى هذا

أنهم أهملوا المادة الحقيقية للأصوات ، إذ من الطبيعي أنه يستحيل الوصول إلى الدرجة الثانية هذه ، وهي مرحلة الفنولوچيا بدون تلك الخطوة الأولى ، وهي النظر في المادة الحقيقية .

وخير دليل نقدمه للتدليل على هذا هو نظام الكتابة العربية ، وطريقة التشكيل فيها ، والذي يبين لنا مقدار ما وصلوا إليه من تفوق في هذا المضمار ، وحسبنا ما نجده في الكتب اللغوية ، وكتب التجويد والقراءات من الدراسة الصوتية التي تدل على براعتهم ، وتفوقهم في هذا النوع من الدراسة ، وشهد لهم بذلك علماء الغرب أنفسهم ، فلقد هالهم ونال إعجابهم براعة العرب ، وتفوقهم في هذا المجال .

يقول فيرث : « لقد نشأت الدراسات الصوتية ونمت في أحضان لغتين مقدستين : العربية ، والسنسكريتية » .

ويقول برجشتراسر : « لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان : العرب ، والهنود » .

* * *

مناهج البحث في الأصوات

يراد بالمناهج الطرق التي يسلكها العلماء في تناولهم الأصوات اللغوية ، للكشف عن الحقائق الصوتية وتقريرها ، وتحديد مخارج الأصوات وصفاتها ، وهيئة أعضاء النطق عند النطق بالحرف ، وتأثر الأصوات بعضها ببعض ، ودرجات هذا التأثر ، وأنواعه ... إلخ .

ويختلف منهج البحث في القديم عنه في الحديث .

١ ـ فالمنهج القديم هو منهج الملاحظة الذاتية ، وهو كما أشرنا إليه آنفا يتلخص في استخلاص الحقائق وتصنيفها ، ووضع القواعد الخاصة بها عن طريق التجربة الشخصية والانطباع الذهني الناتج عن هذه التجربة ، ففي هذه الحالة التي معنا ، وهي حالة الأصوات ، تكون الملاحظة الذاتية بتذوق الأصوات ، ومحاولة نطقها فعليا وواقعيا ، ولكي تكون الملاحظة سليمة النتائج ، تكون كثيرة التنوع ، بالغة الدقة ما أمكن ذلك .

وهذا المنهج ليس خاصاً بالأصوات ، بل يستخدم في جميع فروع علم اللغة ، أو إن شئت فقه اللغة ، ويستخدم هذا المنهج في عدد كبير من العلوم الأخرى ، وخاصة العلوم الطبيعية .

وهذا المنهج كما قلنا سليم وصحيح ، ولم يزل يستخدم في الدراسة الصوتية مع ما جد من آلات .

ويؤخذ على هذا المنهج أن آلة الملاحظة الوحيدة هي الأذن ، وهي لا تملك من الدقة ما تملكه الأجهزة الدقيقة الحساسة في هذا المجال ، ومن السهل خداع الأذن ، كما أنها (أي الأذن) تتأثر بالحالة النفسية للملاحظة ، ويكثر أن تخدعه فتسمعه ما يريد سماعه ، لا ما هو واقع وحادث بالفعل وفي واقع الأمر .

٢ ـ وفي الحديث كان المنهج الآلي :

وهذا المنهج يوم على استخدام الأجهزة الدقيقة في دراسة الأصوات ، بدلا من الاعتماد على الإحساس الشخصي والملاحظة الذاتية ، والأصوات كما نعرف عنصر فيزيائي يمكن للآلة أن تتدخل فيه قياسا وتسجيلا .

والذي حمل العلماء على استخدام هذا المنهج في الصوتيات هو الدقة ، لأن الأذن المجردة لا تستطيع التمييز بين أنواع الصوت المختلفة وخصائصه وإدراك مميزاته ، وقياس شدته ومدته ، والعوامل الكثيرة المحيطة بها ، والتي تجعل مدركاتها عرضة للزلل .

ولا يغيب عن بالنا أن البحث في هذه الوسائل الآلية ، وطرق استخدامها موضوعه « الدراسة الصوتية التجريبية » ، أو « الدراسة الصوتية الآلية » ، كما يؤثر بعض العلماء أن يسموا هذا الفرع من فروع علم الأصوات اللغوية .

والباحث والدارس يستطيع الآن أن يلاحظ كل عضو من أعضاء النطق وهو يؤدي وظيفته عن طريق المجاهر ، أو عن طريق التصوير بأشعة إكس ، أو بغيرها ، ويستطيع أن يحدد تحديداً مضبوطاً موضع كل عضو من الأعضاء التي تشترك في إحداث صوت ما عن طريق ما يسمى بالحنك الصناعي ، وعن التصوير بأشعة إكس ، كما يستطيع الباحث أن يسجل الصوت تسجيلا آليا ، وأن يفسر هذا التسجيل من الناحية الصوتية تفسيرا دقيقا [١] .

وتنقسم الآلات التي تستخدم في هذا المنهج إلى نوعين :

(أ) النوع الأول هدفه أن يبين لنا الأعضاء التي تدخل في إحداث صوت لغوي ما ، وعلى هيئة الأعضاء أثناء النطق ، ثم على مخرج الصوت الملفوظ .

(ب) النوع الثاني هدفه أن يبين لنا صفات الصوت من حيث المدة والشدة والحدة ... إلخ .

فمن النوع الأول :

١ ـ الحنك الصناعي :

وهو آلة شديدة البساطة ، يستطيع أي طبيب أسنان أن يصنعها من مادة بلاستيك ، وبعد صبها في الشكل المناسب لحنك الإنسان

---

(١) انظر : علم اللغة ، د. محمود السعران ص ١٠٩ - ١١٠ .

الأعلى ، نخطط خطوطا طولية وأخرى عرضية ، وحين استخدامها ينثر فوقها قليل الحكك المطحون الناعم ، ثم تجعل في فم الإنسان ملتصقة بحنكه الأعلى ، فإذا لفظ الإنسان صوتا ما كالجيم مثلا ، التصق لسانه في نقطة معينة بهذا الحنك الصناعي فأزال من هذه النقطة ما كان قد علق بها من الحنك المنثور ، فإذا أخرجنا الحنك من فم الإنسان ، ونظرنا إلى الأثر الذي تركه اللسان فيه أثناء النطق بالجيم ، عرفنا بدقة بالغة مخرج هذا الحرف .

ومن الملاحظ أن الأحناك الصناعية هذه لا يتأتى استخدامها عند النطق ببعض الأصوات ، إذ هناك أصوات في الحنجرة ـ كهمزة القطع ـ ، وهناك أصوات حلقية ـ كالعين والحاء والهاء والخاء ـ ، هذه الأصوات لا يكون للسان عند نطقها أثر يذكر .

فهذه الأحناك الصناعية وإن كانت وسيلة صالحة وهامة ، إلا أن استخدامها مقصور على بعض الأصوات دون البعض الآخر ، إذن لا بد من وسيلة أخرى تعاونها .

ومن هنا لجأ علماء الأصوات إلى وسيلة أخرى وهي الاستعانة بأشعة إكس .

٢ ـ التصوير بأشعة إكس :

بالاستعانة بهذه الأشعة أمكن رؤية شكل الفراغ الحلقي عند نطق أصوات الحلق المختلفة ، كما أن التصوير بأشعة إكس يستعان

به لتصوير مواطن اللسان عند نطق أصوات اللين خاصة ، ويمكن ذلك بوضع شريط معدني رقيق على ظاهر اللسان .

ومع ذلك لا يميل العلماء إلى تصديق دلالتها إلا إذا أيدتها وسائل أخرى .

أما النوع الثاني فآلاته على كثرتها تتألف جميعا من ثلاثة أجزاء أساسية ، هي :

(أ) بوق يتلقى الهواء الخارج من فم المتكلم ويوصله إلى طبلة تتأثر بضغط الهواء وذبذبته .

(ب) ثم قلم متصل بهذه الطبلة يتحرك بحركتها .

(ج) ثم اسطوانة مغلفة بورق تدور أثناء العلمل ليرسم عليها القلم الذبذبات المنتقلة من الطبلة إليه .

ويؤخذ على هذا المنهج الآلي أنه رغم دقة النتائج التي أمكن للعلماء التوصل إليها عن طريقه ، أن هذا المنهج عاجز عن فحص الظواهر الصوتية في حالتها الطبيعية ، فالناس لا يتكلمون وفي أفواههم أحناك صناعية ، ولا يتفاهمون وهم يضعون في أفواههم أبواق أو تحت آلات تصوير .

وهذا الوضع غير الطبيعي في هذا المنهج حمل كثير من العلماء على الشك في قيم النتائج التي وصلنا إليها .

ظاهرة الصوت

الصوت ظاهرة طبيعية يدرك أثرها قبل إدراك كنهها ، وينشأ الصوت نتيجة اهتزاز مصدره ، سواء أكان ذلك المصدر صلبا أم غازيا أم سائلاً ، وأثبت علماء الأصوات أن الهزات التي هي مصدر الصوت تنتقل في وسط غازي أو سائل أو صلب حتى تصل إلى أذن الإنسان .

والوسط الذي تنتقل خلاله في الغالب هو الهواء ، فمن خلاله تنتقل الهزات من مصدر الصوت على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن ، وسرعة الصوت كما قدرها العلماء ٣٣٢ متراً في الثانية تقريباً .

ومن الملاحظ ومن الممكن إدراكه بالأذن المجردة أن الأصوات اللغوية لا تنطق كلها على درجة واحدة من الشدة والقوة، فبعضها أشد من بعض ، فالصوت الساكن أشد من الصوت المتحرك ، والمضعف أشد من المخفف .

هذا وتتوقف شدة الصوت وارتفاعه على :

(أ) قرب الأذن من مصدر الصوت ، فكلما كانت الأذن قريبة من مصدر الصوت كان شديدا ومرتفعا .

(ب) سعة الاهتزاز ، ونعني بسعة الاهتزاز المسافة المحصورة

بين الوضع الأصلي للجسم المهتز وهو في حالة السكون ، وأقصى نقطة يصل إليها الجسم في هذه الاهتزازة .

فعلى قدر سعة الاهتزازة يكون علو الصوت ووضوحه ، ويساعد على علو الصوت ووضوحه اتصال مصدره بأجسام رنانة ، فهذه الأجسام الرنانة المتصلة بمصدر الصوت تساعد على شدة الصوت ووضوحه .

(ج) وتتوقف شدة الصوت على كمية الهواء المندفع من الرئتين أثناء النطق به .

وهناك أمور يجدر بنا أن نعرفها ، وهي :

١ ـ درجة الصوت تتوقف على عدد الاهتزازات في الثانية الواحدة ، فكلما زادت الاهتزازات على قدر خاص ازداد الصوت حدة ، وبذلك تختلف درجة الصوت .

٢ ـ وعدد الاهتزازات في الثانية الواحدة يسمى في الاصطلاح الصوتي التردد .

٣ ـ الصوت العميق والصوت الحاد :

الصوت العميق عدد اهتزازاته في الثانية أقل من الصوت الحاد ومن السهولة التفرقة بين شدة الصوت ودرجته ، فشدة الصوت

ارتفاعه ، ودرجة الصوت هي عدد الاهتزازت في الثانية .

٤ ـ نوع الصوت .

نوع الصوت هو تلك الصفة الخاصة التي تميز الأصوات بعضها من بعض ، حتى وإن اتحدت في الدرجة والشدة فمن السهولة أن نميز بين صوت إنسان وآخر ، وصوت الرجل من صوت المرأة .

* * *

الصوت الإنساني

الصوت الإنساني كأي صوت آخر ينشأ من ذبذبات ، ولكن هذه الذبذبات في الغالب مصدرها حنجرة الإنسان عند مرور الهواء المندفع من الرئتين والذي يؤثر في الوترين الصوتيين الموجودين في الحنجرة . أو عند مرور الهواء في الحنجرة تحدث اهتزازات ، ثم يمر الهواء في الفم ، ثم ينتقل في الهواء على شكل موجات حتى تصل إلى أذن السامع .

وبعبارة أوضح أن الهواء حين يندفع من الرئتين ويدخل الحنجرة ، يجد نفسه أمام إحدى حالتين : فإما أن يجد الوترين الصوتيين مشدودين ، وفتحة المزمار شديدة الضيق ، أي منقبضة ، وإما أن يجد الوترين غير مشدودين وفتحة المزمار واسعة .

ففي الحالة الأولى يؤثر الهواء في الوترين فيهتزان اهتزازات مناسبة ، يكثر أو يقل عددها في الثانية بحسب شدة توترهما أو ضعفه ، وينتج عن هذه الاهتزازات صوت تقوم الحنجرة والفراغات الرنانة الأخر بتقويته وتفخيمه ، وفي الحالة الثانية يمر الهواء من فتحة المزمار دون أن يؤثر في الوترين بالاهتزاز .

وفي الحالتين يخرج الهواء من الحنجرة ماراً في الحلق أقصاه ووسطه وأدناه ثم في الفم ، وفي خلال مروره في الحلق وفي الفم يجد نفسه مرة أخرى أمام حالتين ، فإما أن يجد طريقه مفتوحا ولا

يعترضه عائق من الحنجرة حتى خارج الشفتين ، وإما أن يجد هذا الطريق قد انسد في نقطة ما انسداداً تاماً أو جزئياً .

ففي الحالة الأولى يمر حتى يخرج من الشفتين من غير أن يحدث صوتاً ، وفي الحالة الثانية يحتك بأعضاء النطق عند نقطة الانسداد فتحدث صوتاً مرة أخرى .

وبالتأمل في عمليات النطق السابقة ، نجد أن كل صوت لا يخرج عن أن يكون أحد أمور ثلاثة :

(أ) إما أن يعتمد في التصويت على الوترين فقط .

(ب) وإما أن يعتمد في التصويت على نقطة الانسداد الكلي أو الجزئي فقط .

(ج) وإما أن يعتمد على الأمرين معاً .

وسوف نوضح ذلك أثناء كلامنا على الأصوات في موضعه بإذن الله تعالى .

والصوت اللغوي معقد ؛ إذ يتركب من أنواع مختلفة الشدة والدرجة من إنسان لآخر ، حتى إن الإنسان نفسه تتغير درجات صوته عند كل مقطع وكل كلمة .

كما أن لكل إنسان صفة صوتية تميز صوته من غيره ، حتى إن

الأخ وأخيه هناك اختلاف في الصفة التي يميز بينهما .

فالصفة الصوتية للإنسان كالبصمة التي تميزه من غيره من بني الإنسان ، وتلك معجزة من معجزات الخالق جلت قدرته .

ومصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو الحنجرة ، أو بعبارة أدق الوتران الصوتيان فيها ، فاهتزازهما ينطلق ماراً بالحق ، ثم بالفم ، ثم ينتقل خلال الهواء على شكل موجات حتى يصل إلى أذن السامع .

والوتران الصوتيان في الأطفال والنساء أقصر وأقل ضخامة عنهما في الرجال ، وهذا يؤدي إلى زيادة سرعتهما وزيادة عدد الذبذبات عندهما ، ومن هنا كانت أصوات الأطفال والنساء أحد ، أي مرتفعة الدرجة عنها في الرجال ، لأن الوتران الصوتيان عند الرجال أطول وأضخم ، فسرعة الوترين أقل ، ومن هنا كان صوت الرجال أعمق وأقل درجة من النساء والأطفال .

العوامل التي تؤثر في درجة الصوت الإنساني :

١ ـ القدرة على تنظيم الهواء المندفع من الرئتين .

٢ ـ مرونة عضلات الحنجرة ، فكلما كانت عضلاتها أكثر مرونة ، كانت ذبذباتها أكثر .

٣ ـ اختلاف طول الوترين الصوتيين يؤثران تأثيرات عكسية ، فالطويلان تقل ذبذباتهما عن القصيرين .

٤ ـ اختلاف نسبة شد الوترين ، فالصوت الناتج من ذبذبة وترين مشدودين شداً محكماً ، يكون صوتاً حاداً ، في حين أن غلظ الوترين في الرجال يقلل من نسبة هذا ، مما يجعل درجة الصوت عند الرجال عميقة ، لأن عدد الذبذبات أقل .

هذا وتتوقف شدة الصوت الإنساني إلى حد كبير على سعة الرئتين ، ونسبة ضغط الهواء المندفع منهما .

وتتوقف أيضا على تلك الفراغات الضخمة للصوت التي يمر خلالها الهواء بعد الحنجرة ، فالحلق والفم والأنف كل هذه تستغل في تضخيم الصوت ، ومنها يكتسب السمة والصفة التي تميزه من غيره من الأصوات الأخرى ، لأن فراغ الحلق والفم والأنف بمثابة الصناديق المجوفة التي تقوي الأوتار المشدودة عليها ، لأن أصوات الحنجرة وحدها ضعيفة ، ولكنها عند المرور في الفراغات الرنانة تقوى وتكتسب السمة والصفة المميزة لها ، لأنها تختلف من شخص لآخر .

من هنا نستطيع التمييز بين أصوات الأخوة والأصدقاء والأهل والعشيرة بمجرد سماع أصواتهم ولو من خلف جدر ، نتيجة الصفات الصوتية المختلفة نتيجة اختلاف هذه الفراغات الرنانة .

لذا نرى أنه من الواجب علينا أن نلقي بعض الضوء على أعضاء النطق لدى الإنسان ، حتى يستطيع القارئ أن يقف على دور كل عضو من الأعضاء التي تقوم بعملية الأصوات اللغوية ، والتي يمتاز بها الإنسان دون سائر المخلوقات .

وعن طريقها تحققت ناطقية الإنسان ، وكرمه الله على سائر الخلق ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

* * *

الجهاز النطقي عند الإنسان

يشمل الجهاز النطقي عند الإنسان الأعضاء التي لها أثر مباشر في عملية إصدار الأصوات اللغوية .

ومما هو معروف أن الصوت اللغوي عند الإنسان يتكون عند مرور الهواء المندفع من الرئتين أثناء عملية الزفير مارا بالقصبة الهوائية ، فالحنجرة ، فالحلق ، فالحلق الأقصى ، فالأوسط ، فالأدنى ، ثم بالشفتين .

ولما كان لكل عضو من هذه الأعضاء أثر واضح في الأصوات اللغوية ، وطريقة تكوينها ، سميت بأعضاء النطق ، وهذه التسمية في نظر علم الأصوات اللغوية [1] .

ولا يغيب عن بالنا أن هذه الأعضاء لها وظائف أساسية أخرى عليها تتوقف حياة الإنسان السوية ، وأما وظيفتها في إحداث الأصوات فهي وظيفة ثانوية تؤديها بعد القيام بواجبها الأصلي .

وسوف نلقي الضوء على هذه الأعضاء فيما يلي :

١. الرئتان :

والرئتان هما الأساس في عملية النطق عند الإنسان ، فلولا

---

(١) علم اللغة ، د. محمود السعران ص ١٤٠ .

الهواء المندفع منهما إلى القصبة الهوائية في حالة الزفير ما كانت هناك أصوات لغوية على الإطلاق ، بل ولا كانت هناك حياة للإنسان فالرئتان لا تقل في الأهمية عن أهمية أي عضو آخر من أعضاء النطق وهي امتداد من أسفل لفراغ القصبة الهوائية الرنان .

٢. القصبة الهوائية :

يمر الهواء المندفع من الرئتين بالقصبة الهوائية ، وتتكون من حلقات غير كاملة الاستدار من الجانب الخلفي المجاور للمريء ، وتعتبر غرفة رنين ذي أثر بين في درجات الصوت ، خاصة إذا كان عميقا .

٣. الحنجرة :

مرتفع أعلى القصبة الهوائية ، وهي عبارة عن غرفة تتكون من عدد من الغضاريف التي ترتبط ببعضها بواسطة أربطة وأغشية ، وعضلات ، وتغطى من الداخل بغشاء مخاطي ، ومجموع الغضاريف التي تتكون منها الحنجرة تسع غضاريف ، منها ثلاث غضاريف فردية ، وثلاث غضاريف زوجية .

وقد اعتبرها القدماء والمحدثون على حد سواء الإدارة الأساسية للصوت عند الإنسان ، لأن بها الوترين الصوتيين اللذين يهتزان مع معظم الأصوات هزات منتظمة .

٤. الوتران الصوتيان :

الوتران الصوتيان هما وتران حادان يمتدان من الغشاء المخاطي الذي ببطن الحنجرة من الداخل يمتدان أفقيا كل واحد منهما على جانب ، ثم يلتقيان بالغشاء الداخلي بالبروز الحنجري من الأمام ، وهو ما يسمى بتفاحة آدم .

والفراغ الموجود بين الوترين الصوتيين يسمى بالمزمار ، وفتحة المزمار تنقبض وتنبسط بنسب مختلفة مع الأصوات ، ويترتب على هذا الاختلاف نسبة شد الوترين واستعدادهما للاهتزاز ، ولا يخفى علينا أنه كلما زاد توترهما زادت نسبة اهتزازهما في الثانية ، ومن هنا تختلف نتيجة لذلك درجة الصوت .

والوتران الصوتيان لهما القدرة على اتخاذ أوضاع متعددة تؤثر في الأصوات اللغوية ، وهذه الأوضاع هي :

(أ) الوضع الخاص بالتنفس .
(ب) الوضع حالة تكوين نغمة صوتية .
(ج) الوضع حالة الوشوشة .
(د) الوضع حالة تكوين « همزة القطع » .

وإليك كلمة موجزة عن هذه الحالات :

(أ) في هذه الحالة ينفرج الوتران الصوتيان بحيث يمر خلالهما

دون أي اعتراض ، بحيث لا يؤثر فيها بالاهتزاز ، وتسمى الأصوات التي تنطق في هذه الحالة بالأصوات المهموسة ، وسوف نعرض ذلك بالتفصيل بعد إن شاء الله تعالى .

(ب) في هذه الحالة يقترب الوتران الصوتيان بحيث يؤثر فيهما الهواء المندفع من الرئتين بالاهتزاز ، فيحدث نتيجة لذلك ذبذبات ، هذه الذبذبات تحدث نغمة صوتية ، هذه النغمة الصوتية هي التي يطلق عليها في اصطلاح العلماء « الجهر » ، كما تسمى الأصوات التي تحدث في هذه الحالة بالأصوات المجهورة .

(ج) أما وضع الوترين في حالة الوشوشة فهو لا يعنينا في دراسة الأصوات اللغوية .

(د) وضع الوترين الصوتيين عند تكوين همزة القطع : في هذه الحالة ينطبق الوتران الصوتيان انطباقا تاما ، بحيث لا يسمحان للهواء بالمرور إلى الفراغ الحلقي لحظة انطباقهما ، وهذا هو حال وصفهما حالة « قطع النفس » ، وبعد انفراج الوترين يسمع صوت انفجاري نتيجة لانفجار الهواء واندفاعه بعد أن كان محبوسا ومحجوزا خلفهما ، وهذا الصوت هو ما يسمى بـ « همزة القطع » ، فمخرجها كما ترى من فتحة المزمار نفسها وليس من الحلق ، وسوف نعرض له مرة ثانية بإذن الله تعالى [1] .

---

(١) انظر علم اللغة ، د. محمود السعران ص ١٤٥ - ١٤٧ ، وعلم اللغة .. الأصوات ، د. كمال بشر ص ٨٥ - ٨٦ .

٥. لسان المزمار:

لسان المزمار عبارة عن غطاء (تشبه ورقة الشجرة) للمزمار ، ووظيفته الأصلية أن يكون بمثابة حاجز يحمي طريق التنفس عند بلع الطعام أو الشراب .

وهو يجذب إلى الخلف عند تفخيم الصوت ، وإلى الأمام عند ترقيقه .

٦. الحلق:

وهو عبارة عن تجويف على شكل القناة ، ويقع بين الحجرة والفم والحلق ، مخرج للأصوات الحلقية التي سوف نتكلم عنها ، وعلاوة على ذلك يستغل بصفة عامة كفراغ رنان يضخم الأصوات بعد صدورها من الحنجرة ومرورها به ، وينقسم بحسب مخارج الحروف إلى أقصى وهو يلي الحنجرة مباشرة ، ووسط ، ثم أدنى وهو ما يلي الفم [١] .

---

(١) ويلاحظ أن كلمة الحلق عند القدامى غيرها عند المحدثين ، فهي تشمل عند أولئك موضع الوترين الصوتيين من الحنجرة أيضا ، ولا تقتصر على الفراغ الذي بين الحنجرة والفم . انظر : اللسان جـ ٥ ص ١٩٥ ، جـ ١١ ص ٣٤٣ ، جـ ١٥ ص ٣٣٧ ، وعلى هذا ينبغي أن نفهم من كلمة الحلق عند القدامى المنطقة المشتملة على أقصى الحنك والحنجرة ، والفراغ الذي بينهما ، وهذا الفراغ هو الذي اصطلح على تسميته وحده عند المحدثين بالحلق .

من هنا كان الاختلاف بين المحدثين والقدماء في مخرج الهمزة والتي ==

٧.اللهاة:

اللهاة نهاية الحنك اللين، ولها دخل في نطق القاف الفصيحة .

٨.الحنك الأعلى:

وقد يطلق عليه سقف الفم أو سقف الحنك ، وهو العضو الذي يتصل به اللسان في أوضاعه المختلفة ، ومع كل وضع من أوضاع اللسان بالنسبة للحنك يتكون عدد كبير من الحروف سوف نعرفها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وينقسم الحنك عادة إلى :

(أ) أقصى الحنك أو الجزء اللين منه وهو اللهاة ، وقد عرفتها آنفا .

(ب) وسط الحنك أو الحنك الصلب أو ما يسمى بالغار .

(ج) مقدم الحنك أو اللثة ويشمل أيضا أصول الثنايا العليا .

٩.الفراغ الأنفي:

وهذا الفراغ يندفع منه الهواء الخارج من الرئتين مع بعض الأصوات ، وبجانب ذلك يستغل كفراغ رنان يضخم الأصوات .

== عدها القدماء من الحلق ، وعدها المحدثون صوت يخرج من فتحة المزمار في الحنجرة ، والتي لا تدخل في الحلق في اصطلاحهم ، كما سنعرف ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

١٠. اللسان :

اللسان عضو من أعضاء النطق ، وله دخل كبير في نطق الأصوات ، واللسان يمتاز بالمرونة الشديدة ، حتى إن كل جزء فيه يمكن أن يرتفع وينخفض ، وينتقل من وضع إلى آخر ، فيكيف الصوت اللغوي حسب أوضاعه المختلفة ، ولا غرابة أن نجد القدماء ينسبون النطق إلى هذا العضو الهام ، ومن هنا كان إطلاق لفظ لسان على ما هو معروف باللغة ، فيقال : هذا يتكلم بلسان عربي ، وهذا يتكلم بلسان ألماني .

وقد قسمه علماء الأصوات إلى ثلاثة أقسام ، هي :

(أ) أقصى اللسان أو مؤخره ، وهو ما يقابل أقصى الحنك أو الحنك اللين .

(ب) وسط اللسان وهو ما يقابل الصلب ، وهو وسط الحنك في الأحوال العادية .

(ج) طرف اللسان وهو ما يقابل اللثة ، وقد يقال أول اللسان أيضاً ، أما ذلق اللسان أو نهايته فتدخل في طرف اللسان .

١١. الأسنان :

من أعضاء النطق الثابتة الأسنان ، وهي نوعان : أسنان عليا ،

وأسنان سفلى ، والأسنان عليها يعتمد اللسان في إحداث أصوات كثيرة .

١٢. الشفتان :

الشفتان من أعضاء النطق المهمة ، ولهما وظيفة ملحوظة مع بعض الأصوات ، والشفتان تأخذ أوضاعاً متباينة حال النطق ، ويترتب على ذلك اختلاف نوع الصوت وصفته ، فهما تنفرجتان ، وقد تستديران ، أو تنطبقان ، فينفرجتان عند النطق بالكسرة ، وتستديران عند النطق بالضمة ، وهما في حالة انطباق تام عند النطق بالباء .. هذا على سبيل المثال ، وسوف يتضح لنا ذلك فيما بعد بمشيئة الله تعالى .

هذه هي أعضاء النطق لدى الإنسان ، وليست هذه الأعضاء جميعها متحركة ، أي قابلة لأن تتحرك ، بل معظمها ثابت ، والقليل منها هو القابل للحركة كاللسان والشفتين والوترين الصوتيين .

رسم تقريبي لأعضاء النطق

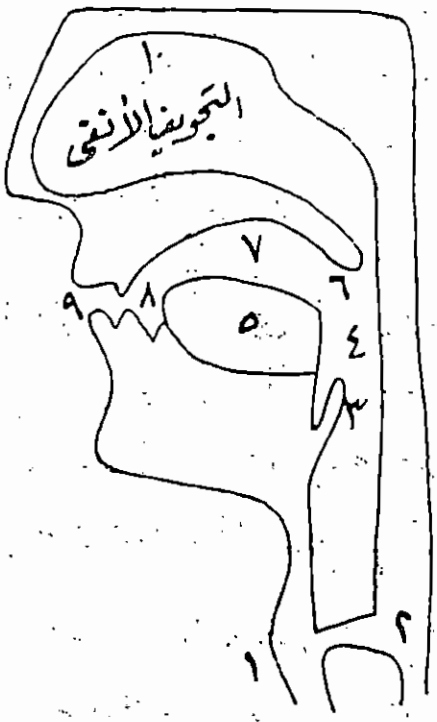

شكل رقم (١)

١ ـ الحنجرة .
٢ ـ الوتران الصوتيان .
٣ ـ لسان المزمار .
٤ ـ الحلق .
٥ ـ اللسان .
٦ ـ اللهاة .
٧ ـ الحنك .
٨ ـ الأسنان .
٩ ـ الشفتان .

صفات الأصوات اللغوية

حين يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية [في حال الزفير] ، ويدخل الحنجرة يجد نفسه أمام حالتين : فإما أن يجد الوترين الصوتيين مشدودين ، وفتحة المزمار ضيقة ، وإما أن يجد الوترين غير مشدودين ، وفتحة المزمار واسعة .

ففي الحالة الأولى يؤثر الهواء في الوترين الصوتيين فيهتزان عدداً من الاهتزازات في الثانية ، يكثر أو يقل بحسب شدة توترهما أو ضعفهما ، وينتج عن هذه الاهتزازات صوت تقوم الحنجرة والفراغات الرنانة الأخرى في الإنسان بتقويته وتضخيمه .

وفي الحالة الثانية وهي الحالة التي يكون فيها الوتران غير مشدودين ، وبالتالي تكون فتحة المزمار واسعة ، يمر الهواء من فتحة المزمار من غير أن يؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز .

وفي كلتا الحالتين السابقتين يخرج الهواء من الحنجرة ماراً بالحلق ، ثم يسلك طريقه في الفم ، وهنا نجد أن الهواء نفسه أمام إحدى حالتين :

إما أن يجد طريقه مفتوحاً لا تعترضه عقبة بدءاً من الحنجرة حتى خارج الشفتين ، وإما أن يجد هذا الطريق قد انسد في نقطة منه انسداداً كليا أو جزئيا .

وفيما يلي الصفات الصوتية للأصوات اللغوية من خلال كتب المحدثين ، مع العرض لعلاجها عند القدماء وبخاصة عند سيبويه في كتابه ، إذ أنه الأساس لما جاء بعده .

١. بين الجهر والهمس

عرفنا أن الصوت اللغوي يحدث عند اندفاع الهواء من الرئتين ثم القصبة الهوائية ثم يؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز أو لا يؤثر .

ومن هنا أجمع العلماء على تصنيف الأصوات اللغوية إلى صنفين :

١ ـ مجهور .

٢ ـ مهموس .

فحين تنقبض فتحة المزمار يقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر ، فتضيق فتحة المزمار ، ولكنها تظل تسمح بمرور الهواء المندفع من القصبة الهوائية خلالها ، وعند مرور الهواء في هذه الحالة يؤثر في الوترين بالاهتزاز ، فيهتزان اهتزازاً منتظماً يسمع له صوت تختلف درجته حسب عدد الهزات في الثانية الواحدة ، فكلما زادت الهزات في الثانية الواحدة كان الصوت حاداً ، كما تختلف شدته بحسب سعة الاهتزازات كما بينا ذلك سابقاً .

والأصوات اللغوية التي تحدث في هذه الحالة تسمى أصواتا مجهورة ، فالصوت المجهور : هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان .

وفي الحالة الثانية والمقابلة لهذه : تبسط فتحة المزمار ويبتعد الوتران الصوتيان عن بعضهما ، وفي هذه الحالة لا يؤثر فيها الهواء بالاهتزاز .

والأصوات اللغوية التي تحدث بهذه الطريقة تسمى أصواتا مهموسة ، فالصوت المهموس هو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان ولا يسمع لهما رنين حال النطق به .

وللتمييز بين الأصوات المجهورة والمهموسة ، يمكن إجراء إحدى التجارب الآتية :

١ ـ وضع الأصبع على تفاحة آدم ونطق بالصوت دون أن نأتي قبله بهمزة وصل ، ونطق به ساكنا ، فإذا نطقنا بالصوت وحده مجرداً وكان من الأصوات المجهورة ، شعرنا باهتزاز الوترين الصوتيين شعوراً لا يحتمل الشك .

وإذا كان الصوت من الأصوات المهموسة لا نشعر باهتزاز الوترين الصوتيين .

٢ ـ وضع الكف على الجبهة : فإذا وضعنا الكف على الجبهة ونطقنا بالصوت ، وكان هذا من الأصوات المجهورة شعرنا برنين ،

هذا الرنين هو أثر الذبذبات التي تحدث نتيجة اهتزاز الوترين الصوتيين أثناء نطق الحرف ، ومن هنا كان الصوت مجهوراً .

أما إذا لم نشعر برنين أثناء نطق الصوت ، كان هذا الصوت مهموسا .

٣ ـ وضع الأصابع في الأذنين أثناء نطق الصوت مع وضع الاختبار ، فإذا شعرنا برنين في الرأس كان هذا الصوت مجهورا ، وإذا لم نشعر برنين كان مهموساً .

والأصوات في اللغة العربية تنقسم إلى قسمين :

الأول : الأصوات المجهورة ، وهي : أ ب ج د ذ ر ز ض ط ظ ع غ ق ل م ن ، والحركات الثلاثة : الفتحة والضمة والكسرة ، ثم ألف المد ، وياء المد ، وواو المد .

الثاني : الأصوات المهموسة ، وهي : ت ث ح خ س ش ص ف ك هـ ، ويجمعها قولك : « سكت فحثه شخص » ، هذا عند القدماء .

أما المحدثون فأخرجوا الهمزة والطاء والقاف من الأصوات المجهورة ، حيث ثبت بالتجارب أن هذه الأصوات مهموسة ، إلا أن بعضهم لا يصف الهمزة بالهمس أو بالجهر ، لأن مخرجها من فتحة المزمار ، فالوتران الصوتيان لا يوصفان بالاهتزاز ولا بعدم الاهتزاز ،

وسوف نتحدث عن ذلك خلال تناول الأصوات السالفة في موضعه إن شاء الله تعالى .

الجهر والهمس عند سيبويه

يجدر بنا أن نذكر معالجة سيبويه لهذه القضية من خلال كتابه كتاب العربيـة الأول ، وواضع أساس هذه الدراسة بعـد أستاذه الخليل .

فالمجهور عند سيبويه هو حرف [١] أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه ، حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت ، فهذه حال المجهـورة في الحلق والفم ، إلا أن النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير لهما غنة ، والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما لرأيت ذلك قد أخل بهما [٢] .

والحروف المجهورة عند سيبويه هـي : الهمزة ، والألف ، والعين ، والغين ، والقاف ، والجيم ، والباء ، والضاد ، واللام ، والنون ، والراء ، والطاء ، والدال ، والزاي ، والظاء ، والـذال ، والياء ، والميم ، والواو ، فذلك تسعة عشر حرفاً .

---

(١) الحرف رمز للصوت ، فعندما يقول حرف كذا أي صوت كذا ، وقد شاع ذلك عند القدماء .

(٢) الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٤ .

وأما المهموس عنده فهو : حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه [١] .

والحروف المهموسة عنده : الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف ، والشين ، والسين ، والتاء ، والصاد ، والضاد ، والثاء ، والفاء ، فذلك عشرة أحرف [٢] .

ويقول عن الحروف المهموسة : وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس .

ويقول عن المجهورة : ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه [٣] ، ولا نوافق جان كانتينو في قوله : « وأما الأوتار الصوتية فلا يبدو أن العرب قد عرفوها » [٤] .

لأننا لو نظرنا لعلاج سيبويه للحروف المجهورة والمهموسة لوجدناه يتسم بالدقة والفهم ، ويتفق مع ما أثبتته التجارب الحديثة ، فلقد ذكر الحروف المجهورة والمهموسة ، ولم يختلف عنه المحدثون إلا في صوت الضاد والطاء ، وأرى أن هذين الصوتين أصابهما التغير عما كانا عليه في القديم ، ولو ظلا ينطقان النطق الفصيح ما

---

(١) الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٤ .

(٢) نفسه .

(٣) انظر : سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ٦٨ - ٦٩ ، والنشر جـ ١ ص ٢٠٢ .

(٤) دروس في علم الأصوات العربية ص ١٨ .

كان هناك خلاف بين علاج سيبويه وعلاج المحدثين ، رغم ما جد من آلات عن طريقها استطاعوا أن يصلوا لهذه الحقيقة التي وصل إليه سيبويه نفسه دون الاستعانة بأي آلات يومها .

ولا غرابة إذن أن نجد علاج سيبويه يبقى بعده خلال القرون المتلاحقة والأزمان المتباعدة ، ويردده القدماء على اختلاف يسير في بعض الألفاظ دون المساس بالجوهر والأساس .

٢. بين الشدة والرخاوة والوسط

وكما تنوعت الأصوات بين الجهر والهمس تنقسم الأصوات إلى :

(أ) الأصوات الشديدة (الانفجارية) :

وهي التي ينحبس معها الهواء انحباسا تامًا لحظة من الزمن عند التقاء عضوي النطق عند مخرج الصوت ، ثم ينطلق الهواء فجأة ، فمثلا عند نطقنا بالدال يلتقي طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا التقاء محكما ، فلا يسمح للهواء بالمرور لحظة من الزمن ، بعدها ينفصل العضوان فيندفع الهواء المحبوس فجأة ، ويحدث ذلك الصوت الانفجاري ، ولذلك أطلق المحدثون على هذه الصفة اسم « الانفجارية » ، فالأصوات الشديدة عند القدماء يطلق عليها في عرف المحدثين الأصوات الانفجارية نسبة لذلك الهواء الذي يفجر عند نطقها .

والأصوات الشديدة عند القدماء هي : الهمزة ـ الجيم ـ الدال ـ الكاف ـ القاف ـ الطاء ـ الباء ـ التاء ، فذلك ثمانية أصوات ، ويجمعها قولك : أجدك قطبت .

والمحدثون يرون أن الجيم الفصيحة ليست شدتها كالأصوات الشديدة الأخرى ، بل أقل منها قليلا ، لأن انفصال العضوين حال النطق بها أيضا قليلا منه في الأصوات الأخرى .

(ب) الأصوات الرخوة (الاحتكاكية) :

وهي التي لا ينحبس الهواء انحباساً محكماً عند النطق بها ، وإنما يكون المجرى ضيقا جداً بحيث يترتب عليه إحداث نوع من الصفير أو الحفيف ، تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى ، وعلى قدر نسبة الصفير في الصوت تكون رخاوته ، وعلى هذا فأكثر الأصوات رخاوة هي تلك الحروف التي تعرف عند القدماء بحروف الصفير ، وهي الشين والزاي والصاد .

وكل صوت لا ينحبس معه الهواء انحباساً محكما ، وإنما يكون المجرى ضعيفاً جداً بحيث يحدث نوعاً من الحفيف يسمى عند القدماء بالحروف الرخوة ، مقابلة بتلك الصفة السابقة وهي الشدة .

فمثلا عند نطقنا بالسين يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية ثم بالحنجرة ، فتنبسط فتحة المزمار وتبعد الوتران الصوتيان ، ولا يؤثر فيهما الهواء بالاهتزاز ، ثم يمر بالحلق ثم بالفم ، ثم تقترب

الأسنان العليا من الأسنان السفلى ، ولا يكون بين طرف اللسان والثنايا إلا مجرى ضيق جداً ، فيندفع خلاله الهواء ، فيحدث ذلك الصفير العالي المسموع عند نطقنا بهذا الصوت .

ويطلق المحدثون على هذه الصفة اسم الأصوات الاحتكاكية ، لأنه يحدث احتكاك بين عضوي النطق في نقطة المخرج كما وضح لنا ذلك عند نطق السين .

(ج) الأصوات المتوسطة (المائعة) :

هناك أصوات لا هي بالشديدة ولا هي بالرخوة ، وهي أصوات : اللام ـ النون ـ العين ـ الميم ـ الراء ، يجمعها قولك : « لن عمر » .

هذه الأصوات رغم التقاء العضوين حال النطق بها ، إلا أن الهواء يجد له منفذاً يمر منه إلى الخارج ، وحينئذ يمر دون أي نوع من الحفيف أو الصفير ، ومن هنا سماها القدماء الحروف المتوسطة .

والمحدثون يطلقون عليها الأصوات المائعة ، ويكتفون بالأصوات الأربعة : اللام ـ النون ـ الميم ـ الراء ، والعين لم يحددوا موقفهم منها [١] ، وذلك راجع إلى أن العين تمثل مشكلة حقيقية لغير العرب . ومن النادر أن يستطيع واحد منهم نطقها بصورة صحيحة [٢] .

---

(١) انظر : الأصوات اللغوية ، د. أنيس ص ٢٦ .

(٢) الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٤ .

الشدة والرخاوة عند سيبويه

فالشديد عند سيبويه هو : الذي يمنع الصوت أن يجري فيه ، والحروف الشديدة هي : الهمزة ، والفاء ، والقاف ، والجيم ، والطاء ، والتاء ، والدال ، والياء .

يقول : « ومن الحروف (الشديد) ، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه ، وهو الهمزة والفاء » (١) .

ويبين ما هو الشديد بقوله : « وذلك أنك لو قلت الحج ومددت صوتك ثم مددت صوتك لم يجر ذلك » (٢) .

وعن الأصوات الرخوة يقول : « ومنها الرخوة ، وهي : الهاء ، والحاء ، والغين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والزاي ، والسين ، والظاء ، والتاء ، والذال ، والفاء ، وذلك إذا قلت الطس وانقض ، وأشباه ذلك ، أجريت فيه الصوت إن شئت » (٣) .

وعن المتوسطة يقول : « أما العين فبين الرخوة والشديدة تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء » .

ومنها « المنحرف » ، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت

---

(٢) انظر : علم اللغة .. الأصوات ، د. بشر ص ١٥٦ .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

لانحراف اللسان مع الصوت ، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة ، وهو اللام ، وإن شئت مددت فيها الصوت ، وليس كالرخوة ، لأن طرف اللسان لا يتجافى عن موضعه ، ولا يخرج الصوت من موضع اللام ، ولكن من ناحية مستدق اللسان فويق ذلك .

ومنها « حرف شديد » يجري معه الصوت ؛ لأن ذلك الصوت غنة ؛ من الأنف ، فإنما تخرجه من أنفك ، واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت ، وهو النون ، وكذلك الميم .

ومنها « المكرر » ، وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام ، فتجافى للصوت كالرخوة ، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء [١] .

فانظر إلى سيبويه كيف يعالج الحروف المتوسطة علاجاً يتسم بالدقة والبراعة ، التي بلغت حداً يثير الدهشة والإعجاب .

٣. بين الإطباق والانفتاح

الإطباق هو أن يرتفع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك الأعلى في شكل مقعر ، فيصير كالطبق بالنسبة للحنك الأعلى ، بينما يكون

---

(١) الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٤ .

طرفه ملتحما مع جزء آخر من أجزاء الفم .

وهذه الحالة الخاصة للسان أثناء عملية النطق تعطي الصوت المنطوق طابعاً خاصاً من الضخامة والتفخيم ، ويطلق على هذه الأصوات صفة الأصوات المطبقة ، وهي : الصاد ـ الضاد ـ الطاء ـ الظاء .

وتسمى الأصوات الأخر الأصوات المنفتحة ، وهي ما عدا هذه الأصوات الأربعة .

الإطباق والانفتاح عند سيبويه

يقول : « المطبقة والمنفتحة » ، فأما المطبقة : فالصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والمنفتحة : كل ما سوى ذلك من الحروف ، لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك ، ترفعه إلى الحنك الأعلى .

ثم يبين لنا ما هو الإطباق فيقول : « وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن أنطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك ، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف » ، ثم يبين الانفتاح فيقول : « وأما الدال والزاي ونحوهما فإنما ينحصر الصوت إذا وضعت لسانك في مواضعهن » [1] .

---

(١) يقصد سيبويه بكلمة مواضعهن : المخارج ، أي أن الأصوات المنفتحة ==

ثم يزيد الأمر وضوحاً بالنسبة للأصوات المطبقة فيقول : « فهذه [الأصوات] الأربعة (يعني الصاد ...) لها موضعان من اللسان ، وقد بين ذلك بحصر الصوت ، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا ، والصاد سينا ، والظاء ذالا ، ولخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس شيء من موضعها [١] غيرها » [٢] .

٤. بين الاستعلاء والاستفال

الاستعلاء : هو ارتفاع أقصى اللسان إلى الحنك عند النطق بالحرف ، ويقع ذلك عند الأصوات الآتية : الخاء ، الصاد ، الغين ، الطاء ، القاف ، الظاء ، يجمعها عبارة « خص ضغط قظ » ، وهي كما نرى أصوات الإطباق الأربعة ، بالإضافة للفاء والخاء والغين ، إذن مجموعها سبعة أصوات ، وباقي الحروف مستفلة .

فالاستفال : عدم ارتفاع اللسان ، أي انخفاضه عند النطق بالصوت ، ولا شك أن صفة الاستفال أخف من صفة الاستعلاء[٣] .

== تحجز الصوت لحظة ما في مخارجهن ، بخالف الأصوات المطبقة ، فالصوت محصور فيما بين اللسان والمخرج ، لأن اللسان حال نطقها يكون كالطبق للحنك الأعلى .

(١) يقصد سيبويه أن الضاد لا يوجد من مخرجها صوت آخر في اللغة العربية ، هذا وسوف نعرض لصورة الضاد بعد إن شاء الله تعالى .

(٢) الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٦ ، وانظر : سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ٧٠ - ٧١ .

(٣) انظر : سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ٧١ .

٥. بين الذلاقة والإصمات

الذلاقة طلاقة اللسان وخفته عند النطق بالحرف ، وحروف الذلاقة ستة ، ثلاثة ذلق [١] وهي : الواو ، واللام ، والنون ، وثلاثة شفوية ، وهي : الفاء ، والباء ، والميم .

أما باقي الحروف فهي حروف مصمتة ، فهي حروف لا يكتفى بها في تركيب الكلمات الرباعية والخماسية ، فالإصمات ضد الذلاقة وحروفه هي بقية الحروف الهجائية .

يقول الخليل بن أحمد : « اعلم أن الحروف الذلق ، والشفوية ستة ، هي : الراء ، واللام ، والنون ، والفاء ، والباء ، والميم ، وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق إنما هي لطرف اللسان أسلة اللسان والشفتين ، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة ... » [٢] .

ثم يقول : « لما ذلقت الحروف الستة ومذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق ، كثرت في أبنية الكلام ، فليس شيء من أبنية الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها » [٣] .

ويقول : « فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من

---

(١) ذلق اللسان أي طرفه ، لأن هذه الحروف من طرف أسلة اللسان .
(٢) العين ، تحقيق : مهدي المخزومي والسمرائي ، جـ ١ ص ٥١ .
(٢) نفسه جـ ١ ص ٥٢ .

حروف الذلق أو الشفوية ، فاعلم أن تلك محدثة مبتدعة »[1] .

من كلام الخليل نعرف أن الكلمات الرباعية والخماسية لا بد وأن تضم بعض حروف الذلاقة ، فإن جاءت خالية من أحد هذه الحروف كانت غير عربية ، إلا ما نص على عربيته ، وهو عبارة عن عشر كلمات ، كالعسجد والدهدقة ، ومما سبق نعرف سر تسميتها بحروف مصمتة ، فكأنه صمت عنها أن تركب منها الكلمات الرباعية والخماسية دون حروف الذلاقة ، هذه هي الصفات العامة للأصوات ، ومما سبق يظهر لنا أن صفات القوة هي :

١ ـ الجهر . ٢ ـ الشدة .
٣ ـ الإطباق . ٤ ـ الاستعلاء .
٥ ـ الإصمات .

وصفات الضعف هي ضد هذه الصفات والمقابلة لها ، وهي :

١ ـ الهمس . ٢ ـ الرخاوة والتوسط .
٣ ـ الانفتاح . ٤ ـ الاستفال .
٥ ـ الذلاقة .

فإذا غلب الصوت صفات القوة فهو قوي ، وإذا غلبت عليه صفات الضعف كان ضعيفا .

وهناك صفات خاصة تتصف بها بعض الأصوات ، وهي :

١ ـ الصفير : وهو ذلك الصوت الذي يحدث أثناء نطق السين والزاي والصاد ، ولذلك سميت بحروف الصفير نسبة لتلك الصفة المصاحبة لنطق هذه الأصوات .

٢ ـ القلقلة : هي التحرك والاضطراب ، ويقصد بها تحريك أي حرف من الحروف الآتية : القاف ، والطاء ، والباء ، والجيم ، والدال ، يجمعها قولهم : قطب جد .

٣ ـ التكرير : هو إعادة الشيء أكثر من مرة ، ويقصد به تلك الصفة التي توصف بها الراء لتكرر طرف اللسان عند نطق صوت الراء [١] .

٤ ـ التفشي : هو الانتشار ، والمراد به تلك الصفة التي يوصف بها صوت الشين لانتشار النفس وتفشيه عن النطق به .

٥ ـ الاستطالة : ويوصف بها صوت الضاد لامتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها .

٦ ـ الخفاء : وتوصف بهذه الصفة الهاء .

٧ ـ الانحراف : ويوصف بهذه الصفة صوت اللام ، حيث يميل الصوت بعد خروجه إلى طرف اللسان .

---

(١) انظر : الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٥ ، وسر صناعة الإعراب جـ ١ ص ٧٢ .

٨ ـ الغنة : هي خروج الصوت من الخيشوم ، ويوصف بها صوت النون والميم .

بعد أن وقفنا على صفات الأصوات اللغوية العامة والخاصة ، يجدر بنا أن نعرض لقضية أخرى نعتبرها جوهر الدراسات الصوتية ، إذ هي الأساس الذي يحتذيه كل باحث في علم الأصوات اللغوية في القديم والحديث ، هذه القضية هي تقسيم الأصوات اللغوية إلى الأصوات الساكنة والأصوات اللينة ، وسوف نعرض للقسمين بشيء من التفصيل ، مستعرضين آراء القدماء والمحدثين ، في النواحي التي تستدعي ذلك ، وبخاصة في الأمور التي تهم القارئ والباحث ، وبالله التوفيق ومنه العون والرشاد .

* * *

تصنيف الأصوات اللغوية

التقسيم الأساسي الذي سار عليه العلماء في تصنيف الأصوات اللغوية هو تقسيمها إلى :

١ ـ أصوات اللين Voweles .

٢ ـ أصوات ساكنة Consonants [١] .

وأصوات اللين هي الأصوات التي تخرج مع الهواء المندفع من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية ثم الحنجرة ، فيؤثر في الوترين

---

(١) اتفق العلماء على هذا التقسيم ، ولكن اختلفت التسميات ، فالدكتور إبراهيم أنيس أطلق عليها الأصوات اللينة والأصوات الساكنة ، والدكتور محمود السعران في كتابه « علم اللغة » أطلق عليها اسم الأصوات الصائتة والأصوات الصامتة ، والدكتور تمام حسن في كتابه « مناهج البحث » أطلق عليها الأصوات العلل والأصوات الصحاح ، والدكتور كمال بشر في كتابه « علم اللغة العام .. الأصوات » أطلق عليها الحركات والأصوات الصامتة ، والأستاذ الدواخلي والقصاص في علم اللغة لفندريس أطلقا عليها أصوات اللين ، والأصوات الساكنة ، والدكتور الإنطاكي في كتابه « الوجيز في فقه اللغة » يقترح تسميتها بالأصوات الطليقة والأصوات الحبيسة » .

أما علماؤنا القدامى فأطلقوا على الأصوات الصامتة الحروف ، وعلى أصوات اللين القصيرة الحركات ، وهناك من أطلق عليها الأصوات اللينة (الحركات) مصطلح صائت ومصوت .

ونحن نرى أنه لا مانع من استعمال أي مصطلح من هذه المصطلحات ، فالكل يؤدي الغاية المطلوبة ، ولا داعي لتفضيل هذا على ذاك ، فالتفضيل عملية نسبية من باحث لآخر ، وسوف نطلق عليها أصوات اللين والأصوات الساكنة ، وبالله التوفيق .

الصوتيين بالاهتزاز ، ثم تمر بالحلق ، ثم بالفم ، ثم يغادر الشفتين دون أن يعترض طريقها أي عائق ، من هنا كانت أصوات اللين واضحة في السمع عن الأصوات الساكنة ، إذ أن الأصوات الساكنة يحدث معها انسداد جزئي أو كلي في نقطة معينة ، ومن هنا كانت أقل وضوحا من أصوات اللين ، وهذا لا يمنع أن يكون بعض الأصوات الساكنة كالميم والنون واللام واضحة ، وتشارك أصوات اللين في الوضوح السمعي ، إلا أن المجرى مع الحروف الساكنة الثلاثة هذه يحدث به ضيق ، عكس أصوات اللين والتي تخرج حرة طليقة خلال الحلق والفم دون أن يقف في طريقها أي عائق أو حائل ، ودون أن يضيق مجرى الهواء فيحدث احتكاكا مسموعاً .

ومحور التقسيم هذا يمكن إجماله في أمرين :

١ ـ وضع الوترين الصوتيين .

٢ ـ طريقة مرور الهواء في الحلق وفي الفم حتى يخرج من الشفتين .

ومن هنا قدر العلماء أن أصوات اللين يمكن تعريفها بأنها هي : الأصوات المجهورة التي لا يحدث أثناء النطق بها أي عائق أو حائل ، بل تمر مع الهواء حرة طليقة حتى خارج الفم .

والأصوات الساكنة هي : الأصوات المجهورة أو المهموسة التي يحدث أثناء النطق بها اعتراض أو عائق في مجرى الهواء ، سواء

أكان هذا الاعتراض كاملا كنطق التاء ، أو جزئيا بحيث يحدث أثناء مرور الهواء كما في الميم والنون .

ونستخلص مما سبق أمرين :

الأول : أصوات اللين مجهورة وأكثر وضوحا من الأصوات الساكنة .

الثاني : الأصوات الساكنة ، منها المجهور ، ومنها المهموس ، ولكنها غير واضحة ، إذ يعترض طريقها عائق ، كلياً كان ذلك العائق أم جزئيا .

الأصوات الساكنة في العربية هي : همزة القطع ، الباء ، التاء ، الثاء ، الجيم ، الحاء ، الخاء ، الدال ، الذال ، الراء ، الزاي ، السين ، الشين ، الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، العين ، الغين ، القاف ، اللام ، الميم ، النون ، الهاء ، في الواو [في نحو : ولد ، وعد ، قدم ، جرم] ، والياء [في نحو : بيت ، يسع ، يعد] .

وأصوات اللين في العربية ستة ، منها ثلاث قصار ، وثلاث طوال .

فالقصار ما أطلق عليها القدماء اسم الحركات ، وهي : الضمة والكسرة والفتحة ، فالواو في نحو : يصون ويهون ، والياء في نحو : إيمان وإيجاب ، والألف في نحو : آمن وقام .

فحروف المد ما هي إلا أصوات لين طويلة ، وإن شئت قلت حركات طويلة ، ولا فرق بينها وبين أصوات اللين القصيرة إلا في الزمن فقط ، فالفتحة والكسرة والواو تستغرق في النطق نصف الزمن الذي تستغرقه كل من الألف والياء والواو فقط ، وسوف نعرف ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى في المبحث التالي ، والذي سوف نتكلم فيه عن مقاييس أصوات اللين المعيارية ، وعلاقة أصوات اللين في العربية بهذه المقاييس ، مع ذكر الأمثلة التي توضح أمام الدارس هذه القضية توضيحا يزيل اللبس ، ويكشف الغامض ، وبالله التوفيق .

* * *

مقاييس أصوات اللين المعيارية

نعني بمقاييس أصوات اللين المعيارية التي وضعها العلماء لقياس أصوات اللين في جميع لغات العالم بها ، ذلك أن أصوات اللين في اللغات بصفة عامة كبيرة ، ولا تكاد تشترك لغة من اللغات مع أخرى في كيفية النطق بأصوات اللين ، أكثر من ذلك فأصوات اللين في اللغة الواحدة تختلف اختلافاً بينا ، هذا الاختلاف أدى إلى تباين لهجات اللغة الواحدة .

هذا بالإضافة إلى أن أصوات اللين واضحة في السمع ، لأنها أصوات مجهورة ، وتخرج مع الهواء المندفع من الرئتين بحيث لا يعوقها عائق ، وهذا يجعل أي انحراف في نطقها أبين في السمع ، ويبعد المتكلم عن النطق الصحيح .

وأيضا هذه الأصوات يكثر ورودها في الكلام ، مما يجسم الخطأ ويبرزه .

لهذا كله عني العلماء المحدثون بهذه الأصوات ، ووضعا ما يسمى بالمقاييس المعيارية ، وهي مقاييس عامة لأصوات اللين ، بها تقاس أصوات اللين في أي لغة ، وتنسب إليها ، ولم يتخذوا هذه المقاييس من لغة خاصة بحيث تكون أساسا ، بل اتخذوا تلك المقاييس من عدد من اللغات بحيث يندرج تحتها أي صوت لين في أي لغة .

وهذه المقاييس يمكن لأي إنسان ما في أي لغة أن يتقنها ، وعن طريق هذا يسهل عليه أن ينسب إليها أي أصوات اللين في اللغة التي يريد أن يتعلمها .

وأول من عني بهذه المقاييس « دانيال چونز » الأستاذ في جامعة لندن ، حيث وضع تلك المقاييس بعد تجارب وبحوث متواصلة لتكون مقاييس لجميع أصوات اللين في لغات العالم ، وسجلها على اسطوانات خاصة يستطيع أي شخص أن يتعلم هذه المقاييس التي أخذت صفة العالمية في الدراسات الصوتية ، ولا يمكن إغفالها في هذا المجال .

بدأ چونز عمله بأن نظر إلى عضوين مهمين كل الأهمية في تكوين أصوات اللين وهما الشفتان واللسان ، إذ هما العضوان الرئيسيان في تعديل شكل مجرى الهواء الصاعد من الرئتين خلال الفم .

أولا بالنسبة للسان :

نظر إليه دانيال جونز باعتبارين إثنين ، هما :

(أ) وضعه بالنسبة للحنك الأعلى من حيث الارتفاع والانخفاض .

(ب) الجزء المعين الذي يرتفع من اللسان وينخفض .

ثانيا : بالنسبة إلى الشفتين :

(أ) ضمهما .

(ب) انفراجهما .

(ج) وضعهما في وضع محايد .

وبهذه الطريقة استطاع دانيال جونز أن يضع ثماني مقاييس ، هي :

١ ـ المقياس الأول : ويرمز له بالرمز i ، ويتمثل في الكلمة الفرنسية Si ، وهذا المقياس للصوت الذي يرتفع عند النطق به مقدم اللسان تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حدد مكن ، بحيث لا يحدث حفيفا ، وهو ما يشبه الكسرة في اللغة العربية حين يكون قصيراً ، وياء المد حين يكون طويلا [١] ، وهذا هو المقياس الأول لأصوات اللين ، لتحدد موضعه ، إذ لو صعد مقدم اللسان تجاه الحنك أكثر من ذلك سمع الحفيف الذي يخرج به صوت اللين إلى محيط الصوت الساكن ، والذي يعرف بصوت الياء في كلمة « بيت » .

---

(١) يلاحظ أن صوت اللين في العربية هو ما يعرف بالكسرة إذا كان قصيرا ، أو ياء المد إذا كان طويلا ، مثل المقياس المعياري رقم ١ ، مع وجود فرقين ، الأول : أن مقدم اللسان مع الكسرة العربية أقل ارتفاعا منه مع المعياري رقم ١ ما لكسرة صوت ضيق ولكن بدرجة أقل من المعياري .
الثاني : أن أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان تكون خلف أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان عند النطق بالمقياس المعياري .
انظر : علم اللغة ، د. بشر ص ١٩٦ .

فالفرق بين الصوتين أن صوت اللين لا يحدث معه حفيف ، أما الصوت الساكن فيحدث معه حفيف ، حيث إن الفراغ أضيق منه في الحالة الأولى .

٢ ـ المقياس الثاني ويرمز له بالرمز e ، ويتمثل في الكلمة الفرنسية thé ، وهذا المقياس للصوت الذي يرتفع به مقدم اللسان تجاه الحنك الأعلى ، بحيث يكون في الارتفاع أقل من المقياس الأول ويليه مباشرة ، وهو ما يشبه الإمالة الشديدة في اللغة العربية في بعض اللهجات التي كانت تقطن وسط وشرق الجزيرة العربية ، أي البيئة البدوية .

٣ ـ المقياس الثالث : ويرمز له بالرمز e ، ويتمثل في الكلمة الفرنسية méme ، وهذا المقياس للصوت الذي يرتفع به مقدم اللسان تجاه الحنك الأعلى ، بحيث يكون في الارتفاع أقل من المرحلة الثانية ويليها مباشرة .

ويشبه إلى حد ما في اللغة العربية الإمالة الخفيفة ، أو ما يسمى بالإمالة الصغرى أو غير المحضة .

٤ ـ المقياس الرابع : ويرمز له بالرمز a ، ويتمثل في الكلمة الفرنسية Ia ، وهذا المقياس للصوت الذي يكون مقدم اللسان عند النطق به مستويا في قاع الفم .

ويشبه هذا الصوت في اللغة العربية الفتحة المرققة حين يكون قصيراً ، وألف المد حين يكون طويلا في قولنا « نام » .

٥ ـ المقياس الخامس : ويرمز له بالرمز a ، ويتمثل في الكلمة الفرنسية pas ، وهو الصوت الذي ينخفض مؤخر اللسان حال النطق به إلى أقصى حد ممكن ، مع رجوع هذا الجزء من اللسان إلى الخلف قدر الطاقة ، ويشبه هذا الصوت في اللغة العربية الفتحة المفخمة حين يكون قصيرا ، وهي الفتحة التي تكون على حروف الإطباق الصاد والضاد والطاء والظاء ، ويشبه الألف المفخمة حين يكون طويلا كالألف في الصلاة [1] .

٦ ـ المقياس السادس : ويرمز له بالرمز o ، ويتمثل في الكلمة الألمانية Soene ، وهو الصوت الذي يرتفع فوق اللسان عند النطق تجاه الحنك الأعلى ، وهو المرحلة السابقة للصوت السابع .

٧ ـ المقياس السابع : ويرمز له بالرمز o ، ويتمثل في الكلمة الفرنسية rose ، وهو الصوت الذي يرتفع عند النطق به مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى ، بحيث لا يصل لموضع المقياس الثامن .

---

(١) الفتحة في اللغة العربية : ١ ـ مرققة . ٢ ـ متوسطة . ٣ ـ مفخمة .
فالمفخمة التي تكون على حرف الإطباق ، والمتوسطة التي تكون على الخاء والغين والقاف ، والمرققة التي تكون على باقي الحروف ، وكما نعرف أن الفتحة صوت لين قصير ، وحين تكون طويلة فهي ألف المد ، وبذلك يكون لها ست صور من حيث الترقيق والتفخيم والتوسط .

٨ ـ المقياس الثامن : ويرمز له بالرمز u ، ويتمثل في الكلمة الألمانية qut ، وهو الصوت الذي يرتفع عند النطق به مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك ، ليكون الفراغ بينهما بحيث لا يحدث الهواء حال النطق به أي نوع من الحفيف .

وهذا الصوت يشبه الضمة في اللغة العربية ، حيث يكون قصيراً ويشبه ما يسمى بواو المد حين يكون طويلا .

وإذا زاد صعود أقصى اللسان نحو أقصى الحنك أحدث نوعاً من الحفيف ، وأنتج صوتا ساكنا ، وهو ما يسمى بالواو الساكنة من الكلمة « وعد » (١) .

فالفرق بين صوت اللين (واو المد) ، والصوت الساكن (الواو في وعد) أن الفراغ عند نطق الأولى لا يحدث نوعاً من الحفيف ، أما في الثانية فيحدث حفيفا ، أي يكون الفراغ في هذه الحالة أضيق منه في الأولى (انظر شكل رقم ٢) .

وهناك صوت تاسع ويرمز له بالرمز a ، وهو ذلك الصوت الذي لا يرتفع عند النطق به اللسان من الخلف أو من الأمام ارتفاعا ملحوظا ، كما لا ينخفض معه انخفاضا كبيرا في قاع الفم ، فهذا الصوت لا ينسب لا إلى المؤخر ولا إلى مقدم اللسان ، وإنما ينسب

---

(١) سوف نعرف الواو هذه عند الكلام على الأصوات الساكنة بعد إن شاء الله.

إلى وسط اللسان ، لأنه الجزء الذي يرتفع عند النطق به [١] (انظر الشكل رقم ٣) ، وتتمثل في الكلمة Singer .

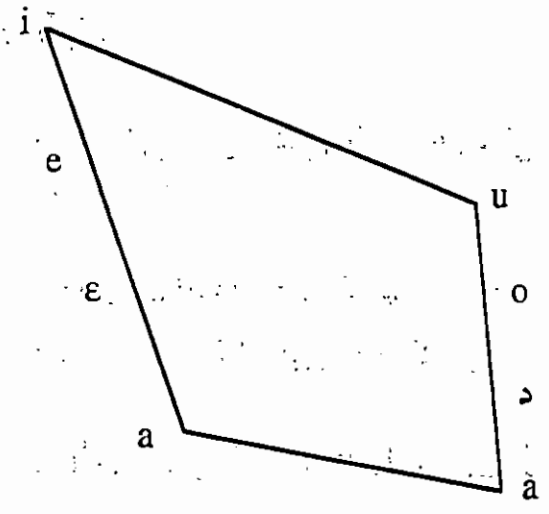

شكل رقم (٢)

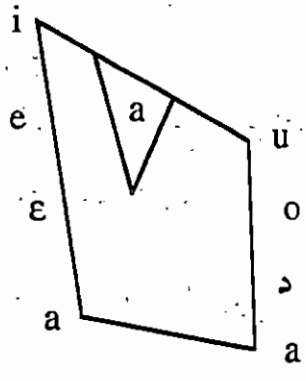

شكل رقم (٣)

---

(١) انظر : علم اللغة .. الأصوات ، د. بشر ص ١٨٢ - ١٨٣ .

أنواع الأصوات المعيارية

يمكن تقسيم الأصوات المعيارية إلى ثلاثة أقسام على أساس الاعتبارات الآتية :

(أ) بالنظر إلى الجزء الذي يفوق غيره في الارتفاع من اللسان .

(ب) بالنظر إلى درجة العلو التي يرتفع إليها اللسان .

(ج) بالنظر إلى هيئة الشفتين حال النطق بأصوات اللين .

التقسيم الأول : على الأساس الأول ، وهو الجزء الذي يرتفع من اللسان، نجد ثلاث أنواع من الحركات :

١ ـ أصوات لين أمامية ، وهي أربع أصوات : الأول والثاني والثالث والرابع .

٢ ـ أصوات لين خلفية : الخامس والسادس والسابع والثامن .

٣ ـ الصوت الأوسط وهو التاسع .

التقسيم الثاني : على أساس الاعتبار الثاني وهو درجة علو اللسان ، نجد أربعة أنواع :

١ ـ أصوات لين ضيقة : الصوت الأول والثامن .

٢ ـ أصوات لين نصف ضيقة : الثاني والسابع .

٣ ـ أصوات لين واسعة : الرابع والخامس .

٤ ـ أصوات لين نصف واسعة : الثالث والسادس .

التقسيم الثالث : على أساس وضع الشفتين حال النطق ، نجد أربعة أنواع :

١ ـ أصوات لين منفتحة : وهي التي تكون معها الشفتان منفرجتان في الحركة ، رقم ١ إلى الحركة رقم ٤ (ioɛa) .

٢ ـ أصوات لين مضمومة ضماً شديداً : وهي الأصوات التي تكون حال النطق بها الشفتان مضمومتان ضماً شديداً ، وهي الصوت الثامن u .

٣ ـ أصوات لين مضمومة ضماً خفيفاً : وهي الأصوات التي تكون الشفتان حال النطق بها مضمومتان ضماً خفيفاً ، وهو الصوت رقم ٦ o .

٤ ـ أصوات لين محايدة : وهي الأصوات التي تكون الشفتان حال النطق بها في وضع محايد ، وذلك حال النطق بالصوت رقم ٥ a .

* * *

أصوات اللين في اللغة العربية

سبق أن قلنا إن أصوات اللين تخرج مع الهواء المندفع من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية ثم بالحنجرة ، فنجد الوترين الصوتيين متقاربين ، وفتحة المزمار ضيقة ، فتؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز ، ثم تخرج من الحنجرة وتسلك طريقها في الحلق ثم الفم دون أن يعترض طريقها مانع أو حائل ، ثم تخرج من الشفتين ، ثم تنتقل خلال الهواء إلى الأذن ، ومن هنا كانت أصوات اللين :

١ ـ مجهورة لأنها تؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز .

٢ ـ واضحة في السمع لأنه لا يعوقها أي عائق .

وإليك أصوات اللين في لغتنا العربية ، مع ملاحظة ما عرفناه في مقاييس أصوات اللين المعيارية ، حتى تكون الرؤيا لدينا واضحة .

١ ـ الفتحة المرققة القصيرة :

هي صوت لين أمامي منفرج ، وعند نطق الفتحة المرققة يكون مقدم اللسان مستويا في قاع الفم والشفتان معها منفرجتان ، فهي كما ترى صوت لين قصير أمامي ، لأنها من مقدم اللسان حال استوائه في قاع الفم .

والفتحة المرققة تكون على جميع حروف الهجاء ، عدا حروف

الإطباق الأربعة والقاف والخاء والغين .

٢ ـ الفتحة المرققة الطويلة :

وهي في اصطلاح القدماء ألف المد ، وهي صوت لين أمامي منفرج طويل ، والفرق بينها وبين الفتحة القصيرة في كمية الزمن ، فهي تستغرق في النطق ضعف زمن الفتحة القصيرة ، وقد يزيد طولها حتى يبلغ الضعفين ، وذلك إذا وليها الإدغام أو الهمزة ، ولا تكون إلا بعد الأصوات المستفلة .

٣ ـ الكسرة القصيرة :

هي صوت لين أمامي منفرج ، وعند النطق بالكسرة يرتفع مقدم اللسان تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ممكن ، بحيث لا يحدث أي نوع من الحفيف .

ولذلك سميت صوت لين أمامي ، لأنها حال النطق بها يرتفع مقدم اللسان كما عرفت ، والشفتان معها منفرجتان ، ولذلك سميت منفرجة .

٤ ـ الكسرة الطويلة :

وتسمى في اصطلاح القدماء ياء المد ، وهي صوت لين أمامي منفرج ، وحال النطق بياء المد يكون مقدم اللسان مرتفعا إلى أقصى

حد ممكن تجاه الحنك الأعلى ، بحيث لا يحدث أي نوع من الحفيف ، فهي كالكسرة تماماً ، إلا أنها تستغرق في النطق بها ضعف الزمن الذي تستغرقه الكسرة .

٥ ـ الضمة القصيرة :

وهي صوت لين خلفي مضمومة ، وعند النطق بالضمة يكون أقصى اللسان مرتفعاً تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة ممكنة ، بحيث لا يحدث نوعاً من الحفيف ، والشفتان معها في حالة استدارة ومنضمتان ، ولذلك سميت صوت لين خلفي مضمومة ، لأن خلف اللسان يرتفع حال النطق بها كما رأينا ، ومضمومة لانضمام الشفتين معها .

٦ ـ الضمة الطويلة :

وتسمى عند القدماء بواو المد ، وهي صوت لين خلفي مضموم واللسان والشفتان معها كما عرفنا في الضمة ، فهي مثلها تماماً في كل أحوالها ، والفرق بينهما أن ألف المد تستغرق ضعف الزمن الذي تستغرقه الضمة ، فالفرق في الكمية فقط [١] .

---

(١) وقد أشار ابن جني في كتابه « سر صناعة الإعراب » إلى هذه الأصوات ، حيث يقول : « أعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي : الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهي : الفتحة والكسرة والضمة .

فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ، ==

هذه هي أصوات اللين في اللغة العربية الفصحى ، وهي ستة : ثلاثة قصار ، وثلاثة طوال ، وهي في الحقيقة ثلاثة فقط ، لأن الفرق بين القصار والطوال هو فرق في الكمية فقط .

وهذه الأصوات هي الأصل ، وهي الشائعة في الكلام ، وتوجد أصوات لينة أخرى ، وهي في حقيقة الأمر أصوات لها أهميتها في الوقوف على سمات النطق عند بعض القبائل التي كانت تقطن

== وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة : الألف الصغيرة ، والكسرة : الياء الصغيرة ، والضمة : الواو الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة ، ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توام كوامل ، وقد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض ، وذلك قولك : يخاف ، وينام ، ويسير ، ويطير ، ويقوم ، ويسوم ، فتجد فيهن امتدادا واستطالة ما ، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولا وامتدادا ، وذلك نحو : يشاء ، ويداء ، ويسوء ، ويجيء ، ويفيء ، وتقول في الإدغام : شابة ، ودابة ، ويطيب بكر ، ويسير راشد ، وتُمودّ الثوب ، وقوصّ زيد بما عليه .

أفلا ترى إلى زيادة المد فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهن ، وهن في كلا موضعهن يسمين حروفا كوامل ، فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفا صغارا بأبعد في القياس منه .

ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه ، وذلك نجد فتحة عين عمر ، فإنك إذا أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت : عامر ، وكذلك كسرة عين عنب إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة ، وذلك قولك : عينب ، وكذلك ضمة عين عمر لو أشبعتها لأنشأت بعدها واو ساكنة ، وذلك قولك : عومر ، فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما تنشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها » .

انظر : سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ١٩ - ٢٠ .

مناطق شتى من شبه الجزيرة العربية ، وشاعت في القراءات القرآنية المتواترة ، وهذه الأصوات من العناصر الأساسية في دراسة أصوات اللغة العربية ، وسمات بعض القراءات القرآنية التي جاءت بها ، بل إن بعضها لا يقل أهمية عن السابقة ، وبخاصة الفتحة المفخمة ، والألف المعجمة .

وسوف نعرض لهذه الأصوات حتى نكون على بينة من الأمر فيما يأتي :

١ ـ الفتحة المفخمة القصيرة :

هي صوت لين خلفي منفتح ، وفي حال النطق بهذا الصوت ينخفض أقصى اللسان إلى أقصى حد ممكن ، مع رجوع هذا الجزء إلى الخلف قدر الطاقة ، ولهذا سمي خلفيا ومنفتحا ـ كما سبق أن عرفت في الأصوات المعيارية ـ .

والفتحة المفخمة هي التي تكون على حروف الإطباق : الصاد والضاد والطاء والظاء .

وهذه الفتحة يصيبها من القصر في الروم ما يصيب كل الأصوات القصار ، وهناك فتحة بين المرققة والمفخمة وتسمى الفتحة المتوسطة ، وهي التي تكون على حروف : القاف والغين والخاء والراء .

وضع اللسان حال النطق بها يكون بين نظيرتيها المرققة والمفخمة .

٢ ـ الفتحة المفخمة الطويلة :

وهي ألف المد المفخمة عند القدماء ، ونطقها كالفتحة المفخمة ، وأحكامها كأحكام الفتحة المفخمة ، ولا تختلف عنها إلا في كمية النطق ، فهي تستغرق ضعف الزمن الذي تستغرقه الفتحة ، ويزداد طولها أكثر إذا وليها الإدغام أو الهمزة ، وقد ذكر ذلك ابن جني في كتابه « سر الصناعة » ، ونقلنا عنه ذلك في الحاشية ، فارجع إليه إن شئت .

٣ ـ الإمالة الشديدة :

الإمالة الشديدة وتسمى الكبرى والمحضة ، وهي صوت لين يكون مقدم اللسان معها ـ أي حال النطق بها ـ مرتفعا تجاه الحنك الأعلى ، ولكن يقل عنه في حال نطق الكسرة ، فهي صوت لين أمامي نصف ضيق .

٤ ـ الإمالة الخفيفة :

والإمالة الخفيفة هي صوت لين أمامي نصف متسع ، وعند النطق بها يكون مقدم اللسان أقل ارتفاعا من السابقة .

هذه هي أشهر أصوات اللين في العربية ولهجاتها ، وهناك أصوات أخرى لينة في بعض اللهجات العربية وخاصة المتوغلة في البداوة ، ولكنها ليست بالشيوع والكثرة كهذه التي ذكرناها ، ومن أراد الرجوع إليه فعليه بكتب القراءات والنحو واللغة ، كالإشمام الوارد في البيتين :

ليت وهل ينفع شيئا ليت ليت شبابا بوع فاشتريت

والبيت الآخر :

حوكت على نيرين إذ ثماك

تحتبط الشوك ولا تشاك

فقد ورد الفعل الماضي الذي أعلت عينه في الماضي عند ثباته للمجهول ثلاث لغات :

١ ـ إخلاص كسر أوله .

٢ ـ إخلاص ضم أوله .

٣ ـ الإشمام ، وهو ما نعنيه هنا .

فالإشمام هو : إمالة الكسرة نحو الضمة ، وهو من الصعوبة بمكان ، لأنه ـ كما نعرف ـ الكسرة صوت لين أمامي ، أي أن مقدم اللسان عند النطق بها يرتفع إلى أقصى حد ممكن ، بحيث لا يحدث أي نوع من الحفيف ، والضمة كما تعرف يكون عند النطق بها أقصى

اللسان مرتفعا تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى حد ، بحيث لا يحدث أي نوع من الحفيف ، فالكسرة صوت لين أمامي ، والضمة صوت لين خلفي ، ومن هنا كانت إمالة الكسرة إلى الضمة أمر صعب على اللسان يصعب النطق به .

وهذا رغم صعوبته أقل بكثير من بعض أنواع الإمالة الأخرى ، فارجع إليها إن شئت .

وبعد أن وقفنا على حقيقة أصوات اللين في اللغة العربية ، بل وذكرنا المقاييس المعيارية والمتفق عليها دوليا ، بحيث يقاس بها أصوات اللين في أية لغة ، وعرفنا علاقة أصوات اللين في العربية بهذه الأصوات المعيارية ، حتى يستطيع القارئ والباحث أن يعرف حقيقة هذه العلاقة وطبيعتها ، ودرجة الاختلاف ، ومدى الاتفاق بين أصواتنا اللينة والأصوات المعيارية ، ثم عرفنا أقسام أصوات اللين وأنواعها من خلفية وضيقة ... إلخ .

علينا بعد هذا أن نعرض للنوع الآخر من الأصوات وهو الأصوات الساكنة ، والتي يطلق عليها القدماء الحروف ، كما يطلق عليها بعض المحدثين اسم الأصوات الصامتة ، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل في الهامش ، فارجع إليه في موضعه .

الأصوات الساكنة في اللغة العربية

أنواعها، مخارجها، طريقة نطقها

الأصوات الساكنة هي : الأصوات المجهورة أو المهموسة ، التي يحدث أثناء النطق بها اعتراض أو عائق في مجرى الهواء ، سواء أكان هذا الاعتراض كاملا كنطقنا الباء ، أم جزئيا بحيث يحدث احتكاك أثناء مرور الهواء كما في الراء والسين .

من هذا يتضح لنا أن هذه الأصوات منها المجهور ، ومنها المهموس ، كما أنها غير واضحة في السمع كما عرفنا ذلك أثناء كلامنا عن تصنيف الأصوات .

والأصوات الساكنة يطلق عليها القدماء « الحروف » ، ويطلق عليها بعض المحدثين الأصوات الساكنة ، على أساس اعتبارات ثلاث :

١ ـ بالنظر إلى وضع الأوتار الصوتية .
٢ ـ بالنظر إلى المخرج .
٣ ـ بالنظر إلى كيفية مرور الهواء أثناء نطقها .

وسوف نجعل الأساس الثاني وهو المخرج أساساً لتقسيم هذه الأصوات وتصنيفها ، وسوف نبدأ بأبعد الحروف مخرجاً ، ثم الأقرب حتى الشفتين ، وما يجب التنويه به أثناء تناولنا من قبل هذه

الأصوات من حيث الصفات ، ولا يخفى أننا تناولنا هذه الأصوات على أساس الاعتبار الأول ، ثم كيفية مرور الهواء أثناء نطقها ، وهو الأساس الثالث ، وتتميما للفائدة سوف نتكلم على كل مجموعة ، آخذين في الاعتبار أفرادها ، مع التعرض لصفات الصوت ومخرجه وطريقة تكوينه ، والله ولي التوفيق ، ومنه تعالى نستمد العون .

١. أصوات الحلق

أصوات الحلق هي : الهمزة ـ الهاء ـ العين ـ الحاء ـ الغين ـ الخاء[١] .

أولا : الهمزة

الهمزة : صوت حلقي حنجري شديد لا هو بالمجهور ، ولا هو بالمهموس ، مستقل منفتح ، ومخرج هذا الصوت من المزمار ، فعند النطق بالهمزة ينطبق الوتران الصوتيان انطباقاً تاما ، فلا يسمحان بمرور الهواء إلى الفراغ الحلقي خلفهما مدة إنطباقهما ، ثم ينفرجان فجأة ، فيسمع صوت انفجاري نتيجة لانطلاق الهواء الذي كان محبوسا ، وهذا الصوت هو صوت الهمزة .

---

(١) قسم القدماء الحلق ثلاثة مخارج كما فعل المحدثون ، ولكنهم أدخلوا الهمزة في حروف الحلق ، فجعلوا أقصى الحلق مما يلي الصدر للهمزة والها ، وأوسط الحلق مما يلي الصدر للعين والحاء ، وأدنى الحلق مما يلي الفم للغين والخاء .
انظر : مقدمة الجمهرة ص ٨ .

والوتران الصوتيان حال النطق بالهمزة لا يوصفان بالاهتزاز ولا بعدم الاهتزاز ، ومن هنا لا يمكن عدها من الأصوات المجهورة ولا من الأصوات المهموسة .

فالهمزة إذن مخرجها من الحنجرة ، أي من فتحة المزمار نفسه ، وهي صوت شديد (انفجاري في اصطلاح المحدثين) ، وليست مجهورة ولا مهموسة .

ويرى بعض اللغويين عدها من الأصوات المهموسة ، لأن الوترين الصوتيين معها لا يهتزان ، ووجهة هذا الفريق أن الجهر والهمس كما عرفنا من الصفات المتقابلة أو التي بينها تضاد ، لأنه إما أن يهتز الوتران الصوتيان ، وإما أن لا يهتزا .

فالوتران هنا غير مهتزين ، فالهمزة مهموسة إذن ، وصوت الهمزة لم يكن له رمز قبل الخليل بن أحمد ، والذي وضع له الرمز [ء] ، أي رأس عين ، أخذاً من كلمة قطع ، لأن هذه الهمزة همزة قطع ، تمييزاً لها من همزة الوصل [1] .

---

(١) الهمزة عند القدماء (وعلى رأسهم ابن جني) مجهورة . انظر : الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٤ ، وسر صناعة الإعراب جـ ١ ص ٧٨ ، يقول ابن جني : « أعلم أن الهمزة صوت مجهور ... » ، وعندهم موضع مخرجها أقصى الحلق ، من هنا يظهر لنا أن المحدثين يخالفون القدماء في نقطتين :
١ ـ صفة الجهر . ٢ ـ مخرج الهمزة .
انظر : علم اللغة ، د. كمال بشر ص ١٤٢ - ١٤٦ ، فلقد عالج هذا الصوت علاجا يتسم بالدقة والواقعية ، وانظر : الأصوات اللغوية ، ==

والهمزة من الأصوات التي اختلفت فيها اللهجات العربية تحقيقا وتسهيلا ، فتحقيق الهمزة ينسب لتميم ومن والاها من القبائل العربية التي كانت تقطن وسط شبه الجزيرة العربية ، وأما قريش فمالت إلى تسهيل الهمزة .

واللغة الفصحى أو اللغة الأدبية النموذجية أو اللغة المشتركة ، وإن شئت قلت لغة قريش ، أي بعد أن صارت اللسان العام ، أخذت صفة تحقيق الهمز من لهجة تميم .

ولقد جاءت القراءات القرآنية بالهمز والتسهيل ، ولو رجعنا إلى كتب التجويد والقراءات القرآنية لوجدنا من ذلك الكثير ، فعلى سبيل المثال يعقد ابن الجزري في كتابه النشر عدة أبواب في أحكام الهمزة مفردة ومقرونة بغيرها ، فيعقد بابا بعنوان : « باب في الهمزتين المجتمعتين من كلمة » ، وبابا في « الهمزتين المجتمعتين من كلمتين »،

== د. إبراهيم أنيس ص ٧١ - ٧٤ .

وأما موقف الخليل من الهمزة فموقف مضطرب من ناحية المخرج ، حيث يذكر في كتابه « العين » جـ ١ ص ٥٢ ، تحقيق : مهدي المخزومي والسمرائي ، قوله : « وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ، فإذا رفه عنها لانت فصارت إلى الياء والواو والألف .. » ، ثم بعد ذلك يذكر في ص ٥٨ قوله : « والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد ، لأنها لا يتعلق بها شيء ، فنسب كل حرف إلى مدرجته ، وموضعه الذي يبدأ فيه » .

كلام يناقض بعضه من جهة المخرج ، أما من جهة صفة الهمزة بقوله مهتوتة ففيه نظر ، ولعله يقصد بكلمة « مهتوتة » في النص الأول « مهموسة » .

وبابا في « الهمز المفرد » ، وبابا في « نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها » ، وبابا في « السكت على الساكن قبل الهمز وغيره » ، وبابا في « الوقف على الهمز » ، وقد استغرقت هذه الأبواب من ص ٣٦٢ إلى ص ٤٩١ .

هذا مثال واحد من كتاب واحد من كتب القراءات ، ومنه يظهر لنا أن قضية هذا الصوت في اللغة العربية لغة القرآن الكريم تحتاج الكثير من الباحثين والدارسين ، وبخاصة أن مادة البحث متوفرة لدينا عن أسلافنا ، وبخاصة لدى علماء القراءات القرآنية .

أما كيف كانت تخفف الهمزة في القراءات القرآنية ؟ فمثاله في الهمزة المفردة الساكنة ، وقبلها متحرك ، فتبدل صوت مد من جنس حركة ما قبلها ، كقوله تعالى : « يؤمنون ، ويؤتى ، ورؤيا ، ومؤتفكة » ، وكقوله تعالى : « بئس ، وجئت ، وشئت ، ورئيا ، والذي ائتمن » ، وكقوله تعالى : « فأتوهن ، فأذنوا ، وأمر أهلك ، ومأوى » ، فقرأ أبو جعفر جميع ذلك بإبدال الهمزة فيه حرف مد بحسب حركة ما قبله ، إن كانت ضمة كما في الشواهد الأولى فتقلب واواً ، وإن كانت فتحة كما في الشواهد الثانية فتقلب ألفا ، وإن كانت كسرة كما في الشواهد الثالثة فتقلب ياء .

وإن كانت الهمزة مفتوحة وقبلها مضموم ، فإن كانت فاء من الفعل فاتفق أبو جعفر وورش على إبدالها واواً نحو : « يوده ،

ويواخذ » ، وإن كانت لاما من الفعل فإن حفصا اختص بإبدالها في « هزوا » ، وهو في عشرة مواضع في القرآن الكريم .

وإما أن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها مكسور فإن أبا جعفر يبدلها ياء في قوله تعالى : « رئاء الناس » .

وإذا كانت مضمومة بعد كسر وبعدها واو فإن أبا جعفر يحذف الهمزة ويضم ما قبلها من أجل الواو ، نحو قوله تعالى : « مستهزون » ، و« متكون » .

وإذا كانت مضمومة بعد فتح ، فإن أبا جعفر يحذفها في قوله تعالى : « ولا يطون » ، وانفرد الحنبلي بتسهيلها بين بين في « رؤف » .

وإذا كانت مكسورة بعد كسر بعدها ياء ، فإن أبا جعفر يحذف الهمزة في : « متكئين ، والصابئين ، والخاطئين » .

وإذا كانت الهمزة مفتوحة بعد فتح ، فاتفق نافع وأبو جعفر على تسهيلها بين بين في « رأيت » إذا وقع بعد همزة الاستفهام نحو قوله تعالى : « أرأيتكم ، وأرأيت ، وأفرأيتم » [1] .

---

(١) انظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري جـ ١ ص ٣٩٠ - ٣٩٧ .

ثانيا: الهاء

الهاء : صوت حلقي رخو مهموس مستفل منفتح مصمت ، ومخرج هذا الصوت أقصى الحلق .

وطريقة نطق هذا الصوت : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية ، ثم الحنجرة ، ويفترق الوتران الصوتيان عن بعضهما ، وتتسع فتحة المزمار ، فيمر الهواء دون أن يؤثر في الوترين بالاهتزاز ، ثم يحدث الهواء حفيفا في أقصى الحلق حيث مخرج الهواء ، ثم يتخذ الهواء طريقه بعد ذلك إلى الفم ، ثم الشفتين ، بحيث ينتقل الهواء إلى الأذن .

ومن الملاحظ عند نطق الهاء أن الفم تكون هيئته شبيهة بحاله عند نطق أصوات اللين .

ويرى بعض المحدثين عد هذا الصوت من الأصوات المجهورة ، لأن شيئا من الذبذبة حدثت من الوترين حال نطق هذا الصوت ، نظراً لتقاربهما عند مروه خلالهما [1] .

والبعض الآخر يرى أنه مهموس يجهر به في بعض المواطن الخاصة ، إذ في هذه الحالة يندفع الهواء من الرئتين بشدة ، فيؤثر في الوترين بالاهتزاز ، ثم يحدث له نوع من الحفيف في أقصى الحلق ،

---

(١) مناهج البحث ص ١٠٣ ، د. تمام حسان .

بحيث يتميز بهذا الحفيف من الأصوات اللينة [١] .

ثالثا : العين

العين : صوت حلقي متوسط مجهور مستعل منفتح ذلق ، مخرج هذا الصوت من وسط الحلق ، وطريقة تكوين هذا الصوت : يندفع الهواء من الرئتين إلى القصبة الهوائية فالحنجرة ، فيقترن الوتران الصوتيان وتنقبض فتحة المزمار ، فيؤثر الهواء في الوترين بالاهتزاز ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق ، فيحدث احتكاك خفيف في وسط الحلق الضيق المجرى حيث مخرجه ، ولذا كان هذا الصوت من الحروف المتوسطة عند القدماء ، أو الهوائية في اصطلاح المحدثين ، ثم يتخذ الهواء طريقه مارا بالفم ، ثم بالشفتين ، فالهواء إلى الإذن .

رابعا : الحاء

الحاء : صوت حلقي رخو مهموس مستفل منفتح مصمت ، مخرج هذا الصوت من وسط الحلق ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فلا يؤثر في الوترين بالاهتزاز نظراً لبعدهما وانبساط فتحة المزمار ، وعند مرور الهواء بوسط الحلق يضيق المجرى حيث مخرج هذا الصوت ، ثم يمر الهواء بالفم فالشفتين إلى الخارج .

---

(١) الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ص ٧١ .

ومخرج هذا الصوت من وسط الحلق كالعين تماما ، إلا أن العين مجهورة ، والحاء مهموسة ، فالنظير المجهور للحاء العين .

خامسا : الغين

الغين : صوت حلقي رخو مجهور مستعل مصمت ، مخرج هذا الصوت من أدنى الحلق ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فيقترب الوتران الصوتيان من بعضهما وتنقبض فتحة المزمار ، فيؤثر الهواء في الوترين بالاهتزاز ، وعندما يصل الهواء حاملا هذا الصوت إلى أدنى الحنجرة يضيق المخرج ، فيحدث الهواء نوعا من الحفيف مخرج هذا الصوت ثم يمر الهواء بالفم فالشفتين إلى الخارج خلال الهواء ، حتى أذن السامع [١] .

سادسا : الخاء

الخاء : صوت حلقي مهموس مستعل مصمت ، ومخرج هذا الصوت أدنى الحلق ، وهو النظير المهموس للغين ، وهو كالغين في كل شيء .

---

(١) يرى بعض المحدثين أن هذا الصوت ليس من الحلق كما رأى القدماء والمحدثين على السواء ، ويرى أنه من الطبق لا من الحلق ، هذا في نظرنا ليس صحيحا ، بل الأمر كما ذهب القدماء وغالب المحدثين .
انظر : الوجيز في فقه اللغة للأنطاكي ص ١٨٣ .

وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية ثم الحنجرة ، فلا يؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز نظراً لبعدهما عن بعضهما ، وانبساط فتحة المزمار ، ثم يمر الهواء بالحلق ، وعند أدناه يضيق المجرى حيث مخرج هذا الصوت ، ثم يمر الهواء بالفم فالشفتين فيغادرهما إلى الخارج خلال الهواء حتى أذن السامع [١] .

٢. أصوات أقصى اللسان

هي : القاف ـ الكاف .

أولا : القاف

القاف : صوت لهوي شديد مجهور مستعل مصمت .

وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية ثم بالحنجرة ، فيقترب الوتران الصوتيان من بعضهما وتنقبض فتحة المزمار ، فيؤثر الهواء في الوترين بالاهتزاز ، ثم يمر الهواء بالحلق ، ثم ينحبس الهواء انحباسا كليا عندما يرتفع أقصى اللسان ويلتقي بأدنى الحلق بما في ذلك اللهاة ، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور ، ثم ينطلق الهواء فجأة بعد انفصال عضوي النطق ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الفم فالشفتين إلى الخارج .

---

(١) يرى الأستاذ الأنطاكي أيضا أن هذا الصوت ليس حلقيا ، وليس الأمر كما يقول ، ولم نقف على مثله على مبلغ علمنا .
انظر : الوجيز في فقه اللغة ص ١٨٣ .

والقاف الصوت الوحيد في اللغة العربية الذي يخرج من هذه النقطة ، ولذلك سميت لهوية ، لأن اللهاة تتصل حال النطق به كما رأينا عندما يرتفع أقصى اللسان إلى أعلى .

اتفق بعض المحدثين [١] مع ابن جني في جعل مخرج القاف فوق مخرج الغين والخاء ، بمعنى أن هذين الصوتين أبعد مخرجا من القاف ، حيث مخرجهما من أدنى الحلق ، ومخرج القاف من اللهاة ، والحلق بأقسامه عند ابن جني قبل اللهاة .

وذهب بعض المحدثين [٢] إلى القول بأن مخرج القاف والخاء والغين من اللهاة فيقول : « والخاء والغين اللهويتين » ، وقبل ذلك بقليل يقول عن « القاف اللهوية » ، ثم يذكر في موضع آخر تحت عنوان : « الحروف الأقصى حنكية » ، يقول بالحرف الواحد ما نصه : « والحرف المفخم من هذا الثالث ـ أي القاف ـ لهويا أكثر منه أقصى حنكيا » .

وهذا يظهر لنا ثبات رأي القدماء ووضوحه تجاه هذا الصوت ، عكس بعض المحدثين الذي وصل إلى حد الاضطراب ، كما شاهدناه عند « جان كاتينو » .

وهذا الصوت من حروف القلقلة .

---

(١) انظر : محاضرات في اللغة للدكتور عبد الرحمن أيوب .

(٢) دروس في علم أصوات اللغة ، جان كاتينو ص ٣٢ .

والقاف من الأصوات التي عدها المحدثون صوتا مهموسا ، لأن الوترين الصوتيين عند نطقها لا يهتزان ، وذلك لتغير نطقها عما كانت عليه في الفصحى .

ويرى بعض المحدثين أن القدماء أخطأوا عندما وصفوا هذا الصوت بالجهر [1] ، ولسنا مع هذا الظن ، لأن الذي نرجحه أن نطق القاف الفصيحة يشبه إلى حد بعيد نطق القاف في جنوب العراق ، وبعض مناطق السودان ، إذ كما نسمع بعض الأخوة السودانيين ينطقون القاف قريبة جدا من الغين ، حتى إنه يذكر لنا البعض أن أطفال السودان في بداية تعلمهم يخطأون ويخلطون بين هذا الصوت وصوت الغين مما يؤيد ما نذهب إليه .

من هنا نرى القدماء لم يخطأوا في وصف القاف بالجهر ، والذي حدث هو تغير نطق هذا الصوت على الصورة التي لا يحدث عند النطق به اهتزاز الوترين الصوتيين .

ويرى بعض العلماء المحدثين أن صوت القاف قديما كان شبيها بما يمكن تسميته بـ « الجاف » ، أو ما يشبه الكاف الفارسية ، من هنا جاء وصف القدماء لها مجهورة ، فيقول : « ... ليست من البعيد أنهم (يقصد القدماء) يقصدون القاف ، ذلك الصوت الذي يمكن تسميته بـ " الجاف " ، أو ما يشبه القاف الفارسية ، وهو ذلك الصوت

---

(١) انظر : مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ص ٩٦ .

الذي نسمعه في بعض جهات الصعيد وريف الوجه البحري ، وهو شبيه بالجيم القاهرية ، أو هو هي من حيث الأثر السمعي ، وإن اختلفا في التوزيع الصوتي في اللغة العربية »[١] .

والخلاصة أن هذا الصوت من الأصوات التي تغير[٢] نطقها ، فتنطق في اللهجة القاهرية همزة ، وكذلك في بعض أنحاء مصر ، وتنطق في أغلب قرى شمال البلاد وكذلك في صعيد مصر « جا » .

فمن هنا كان وصف المحدثين لهذا الصوت بالهمس ، والقدماء جاء وصفهم له بالجهر نتيجة تغير نطق القاف في الحديث عنه في القديم .

ثانيا : الكاف

الكاف : صوت حنكي شديد مهموس مستفل مصمت مقلقل ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية ، ثم بالحنجرة ، فلا يؤثر في الوترين بالاهتزاز لابتعادهما عن بعضهما وانبساط فتحة المزمار ، ثم يمر بالحلق ، فإذا وصل إلى أقصى الفم بعد اللهاة مباشر انحبس الهواء انحباسا محكما لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى ، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور وقت

---

(١) علم اللغة العام .. الأصوات ، د. كمال بشر ص ١٤٠ .

(٢) التعبير بالتغيير أدق في التعبير ، لأن كلمة « تطور » لا تناسب ما نحن فيه ، إذ أن تغير أصوات العربية لا تعتبر تطورا وإنما تدهورا ، فالمناسب التغير لا التطور .

اتصالهما ، ثم ينفصل العضوان فينفجر الهواء الذي كان محبوسا خلفهما محدثاً صوتاً انفجارياً ، ولذا سمي عند المحدثين بالانفجاري وعند القدماء بالشديد ، ثم يتخذ الهواء طريقه إلى الخارج حتى يصل إلى الأذن .

٣. أصوات وسط اللسان

هي : الجيم ـ الشين ـ الياء ـ الضاد .

أولا : الجيم

صوت شجري [١] شديد مجهور مستفل مصمت مقلقل ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية ، ثم يدخل الحنجرة فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لالتقائهما ببعضهما وانقباض فتحة المزمار ، ثم يندفع الهواء بعد ذلك ماراً بالحلق والفم ، ثم يرتفع وسط اللسان ويلتقي بالحنك الأعلى ، فينحبس الهواء خلفهما ، ثم ينفصل العضوان انفصالا بطيئا ، فيحدث الهواء الذي كان محبوسا خلفهما صوتا انفجاريا ، ولكنه ليس بالشدة التي تسمع مع الأصوات الشديدة الأخرى ، ولذا كانت الجيم الفصيحة قليلة الشدة .

---

(١) شجري آخذ من تسمية القدماء الأصوات الأربعة الجيم والشين والصاد والياء الأصوات الشجرية ، وأول من أطلق عليها هذا الاسم هو الخليل بن أحمد ، والشجر مفرج الفم . انظر : العين جـ ١ ص ، والتهذيب جـ ١ ص ٤٨ .

والجيم من الأصوات التي أصابها التغيير في اللهجات العربية المعاصرة ، فصارت رخوة في لبنان وسوريا ، أما في مصر فصار نطقها شديداً ، وتغير مخرجها ، فصار أقصى اللسان أي تأخر إلى الخلف عنه في الفصيحة والشامية .

أما نطقنا الفصحى في الأساليب الأدبية وفي القرآن الكريم فهو النطق الفصيح الذي كان موجوداً منذ عصور الاحتجاج ، فهي شديدة ، فيها شيء من الرخاوة .

ثانياً :الشين

الشين : صوت شجري رخو مهموس مستفل مصمت متفش ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فلا يؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز نظراً لبعدهما عن بعضهما ، وانبساط فتحة المزمار ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم ، ثم يضيق مجرى الهواء عند مخرج الصوت فيرتفع وسط اللسان مع جزء من مقدم اللسان إلى الفك الأعلى ، بحيث يسمح للهواء بالمرور والتفشي ، ثم يخرج من الشفتين إلى خارج الفم ثم الأذن .

ثالثا :الياء

الياء : صوت شجري رخو مجهور مستفل مصمت ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية ، ثم بالحنجرة

فتؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز ، نظراً لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم ، فيرفع وسط اللسان نحو الفك الأعلى حيث مخرج هذا الصوت ، بحيث يحدث الهواء عند النطق بهذا الصوت نوعاً ضعيفاً من الحفيف .

وقد عرفنا من قبل عند كلامنا على مقاييس أصوات اللين وتطبيقها على أصوات اللين في العربية أن هذا الصوت وضع اللسان معه شبيه بوضع اللسان مع المقياس الأول ، إلا أن وضعه يرتفع أعلى بحيث يحدث نوعاً من الحفيف ، ولهذا كان من الأصوات الساكنة .

ونجد أن بعض علماء اللغة المحدثين يعالجون هذا الصوت ، وصوت الواو على أنهما أشباه أصوات اللين مثل الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية ، حيث يعالج هذين الصوتين تحت العنوان التالي : « أشباه أصوات اللين » .

ويقول تحت هذا العنوان : « ففي تكون الياء نلحظ أن اللسان يكون تقريباً في موضع النطق بصوت اللين (i) ، غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين النطق بالياء يكون أضيق منه في حالة النطق بصوت اللين (i) ، مما يترتب عليه أننا نسمع ذلك النوع الضعيف من الحفيف » .

ثم نصل للنتيجة التي يصورها لنا بقوله : « فالياء لأنها تشتمل في النطق بها على حفيف ، يمكن أن تعد صوتاً ساكناً ، أما إذا نظر

إلى موضع اللسان معها فهي أقرب شبها بالصوت اللين (i) ، لهذا اصطلح المحدثون على تسمية الياء بشبه صوت اللين » .

ونحن إذ نوافق الدكتور إبراهيم أنيس والمحدثين في هذا ، إلا أننا نخالفه فيما أورده بعد هذا ، حيث يصف الياء بأن لها طبيعة مزدوجة ، فلماذا هذه الطبيعة المزدوجة ؟ ، فهي كما يقرر لها مخرج معين واضح لا لبس فيه ، إذن لها صفة ومخرج واحد كبقية الحروف والأصوات الساكنة ، ولا ازدواجية فيها مطلقاً ، فمخرجها معروف ومحدد ، وأما ياء المد التي هي صوت لين طويل فمخرجها مخرج صوت اللين القصير ، والفرق بينهما في الكمية فقط ، إذن لا ازدواجية في صوت الياء الساكنة التي هي أحد الأصوات الساكنة الأخرى ، وتؤدي ما تؤديه الأصوات الساكنة في بناء الكلمات .

ولا نوافق البعض الآخر الذي أطلق عليها أنصاف حركات ، وإن كنا نراه أوفق بكثير من وجهة الفريق الأول [١] .

---

(١) يرى أستاذنا الكبير الدكتور بشر : أن الياء والواو إما حركتان خالصتان ، وإما صوتان صامتان ، أو بعبارة أدق (كما يقول) نصف حركتين .. ، وفرق بين الحالتين على أساس الوظيفة اللغوية لكل من الياء والواو في حالة كونهما من الحروف الصامتة ، وفي حالة كونهما من أصوات اللين ، ويرى أنه رغم أنهما من الأصوات الساكنة الصرفة ، إلا أن الاحتكاك معهما يقل عن حاله مع الأصوات الساكنة ، لذا آثر أن يطلق عليهما اصطلاح (أنصاف الحركات) . علم اللغة العام .. الأصوات ص ١٧٣ - ١٧٤ .

رابعا : الضاد

الضاد : صوت شجري جانبي رخو مجهور مطبق مستعل مصمت منحرف ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية ثم بالحنجرة ، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز نتيجة لالتقائهما ببعضهما وانقباض فتحة المزمار عند النطق بالضاد ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم ، غير أن مجرى الهواء في الفم من جانبي اللسان كما هو عند سيبويه [١] ، ويرى البعض أنها من جهة اليمين ، والبعض الآخر من جهة اليسار ، وهو الأكثر [٢] ، وعند مرور الهواء على هذه الصفة من مخرج هذا الصوت يضيق الهواء ، فيحدث حفيفا ، ولكن لا يحجز الهواء كما في الأصوات الشديدة ، ثم يغادر الهواء الشفتين متخذا طريقه في الهواء إلى الأذن .

وصوت الضاد من الأصوات التي حدث له الكثير من التغير

---

(١) يقول سيبويه عن مخرج صوت الضاد : « ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد » الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٣ ، ويقول ابن جني : « ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد ، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن ، وإن شئت من الجانب الأيسر » سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ٥٢ .

(٢) يقول ابن الجزري : « المخرج الثامن ـ للضاد المعجمة ـ من أول حافة اللسان وما يليه الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر ، ومن الأيمن عند الأقل ، وكلام سيبويه يدل على أنها تكون من الجانبين » انظر : النشر في القراءات العشر جـ ١ ص ٢٠٠ .

في اللهجات العربية بعد عصور الاحتجاج ، وما يزال هذا التغير إلى يومنا هذا .

ففي مصر صوت شديد مجهور ، ومخرجه عند التقاء طرف اللسان أصول الثنايا العليا ، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا انطلق الهواء محدثا صوتا انفجاريا حيث كان محبوسا خلف عضوي النطق ، فهي في نطق اللهجة المصرية الآن شديدة ، وقد كانت في القديم في الفصحى رخوة ، وهي الآن بهذه الصورة شبيهة بالدال ، والفرق بينهما أن الضاد تأخذ صفة الإطباق ، حيث يكون اللسان كالطبق بالنسبة للحنك الأعلى ، عكس الدال المنفتحة ، ولذلك يخلط الطفل عندنا في مصر عند الإملاء بين صوت الضاد والدال ، نظراً لتغير نطق الضاد وانحرافها عن النطق الفصيح لهذا الصوت ، والذي تمتاز به لغتنا ، وصارت تنسب إليه ، فيقال لغة الضاد .

وبعد .. فهذه الأصوات الأربعة هي الأصوات الشجرية عند الخليل ، وعند غير الخليل الثلاثة الأولى فقط ولا يعدون منها الضاد .

٤. أصوات طرف اللسان

هناك مجموعة من الأصوات مخارجها من مقدم اللسان بما فيه طرفه عند التقائه باللثة العليا أو أصول الثنايا العليا أو طرفها ، وسوف نجعلها في مجموعات بحسب المخرج ، وهذه الحروف هي :

اللام والراء والنون ، والطاء والدال والتاء ، والصاد والزاي والسين ، والظاء والذال والثاء ، فهذه الحروف مخارجها متقاربة ، وسوف نذكر كل مجموعة فرعية على حده ، حتى يكون القارئ على بينة من أمرها ، وبالله التوفيق ، ومنه الرشاد .

(أ) اللام ، الراء ، النون

وتسمى هذه الأصوات عند القدماء بأصوات الذلاقة ، لأن مخرجها من ذلق اللسان ، أي طرفه [١] .

أولا : اللام

اللام : صوت لثوي متوسط مجهور مستفل ذلقي منحرف ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية ثم بالحنجرة ، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار عند النطق بهذا الصوت ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم ، وعند مروره في الفم يضيق مجراه على جانبي اللسان بحيث يحدث الهواء حفيفا ضعيفا ، وعند مرور الهواء من أحد جانبي اللسان أو من الجانبين يرتفع طرف اللسان ويتصل بأصول الثنايا العليا مع اللثة ، ويمنع مرور الهواء من فوق ، فيتسرب الهواء من حافتي اللسان أو من أحدهما ، ولذلك كان هذا الصوت متوسطاً

---

(١) انظر : القول المفيد ص ٣٦ وما بعدها ، وانظر : العين وتهذيب اللغة للأزهري جـ ١ ص ٤٨ .

لأن عضوي المخرج على هذا النحو لا يمنعان الهواء ويحبسانه كلية ، بل يتسرب على الصورة المذكورة ، ثم يتخذ الهواء طريقه من الشفتين إلى الخارج [١] .

وصوت اللام هي أوسع الأصوات مخرجاً ، إذ كما رأينا يمكن إخراجها من كلتا حافتي اللسان وبما يحاذيهما ، فهي صوت لثوي أسناني حافي ، أي من حافتي اللسان .

أنواع اللام في العربية :

(أ) مرققة .

(ب) مغلظة ، بحيث يكون شكل اللسان معها مقعراً .

والمرققة بخلاف ذلك ، ولكن الأصل في اللام الترقيق ، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا بشرطين :

١ - أن يسبقها أحد أصوات الاستعلاء ، ولا سيما الصاد والطاء والظاء ، ساكنا هذا الصوت أم مفتوحاً .

---

(١) ويحدد ابن جني هذا الصوت ، يقول : « ومن الحروف منحرف ، لأن اللسان فيه ينحرف مع الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت ، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما وهو اللام » سر الصناعة ص ٧٢ .

ويقول ابن الجزري : « اللام من حافة اللسان ، أدناها إلى منتهى طرفه ، وما بينها وما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية » النشر جـ ١ ص ٢٠٠ .

٢ـ أن تكون اللام نفسها مفتوحة ، مثل قوله تعالى : ﴿ وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾ [مريم : من الآية ٣١] ، وقوله تعالى : ﴿ سيصلى ناراً ذات لهب ﴾ [المسد : آية ٣] ، وقوله تعالى : ﴿ سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ [القدر : آية ٥] ، وقوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ .

وجمهور القراء أجمعوا على تغليظ اللام في لفظ الجلالة إلا إذا كان يسبقها كسرة نحو : « بسم الله » ، فتغليظها مثل قوله تعالى : ﴿ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ﴾ [آية ٩٧ من المائدة] ، وقوله تعالى : ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا ﴾ [من الآية ١١٠ من المائدة] ، ففي الآيتين الكريمتين اللام في لفظ الجلالة مغلظة نظراً لأنها مسبوقة بفتحة .

ومثال المسبوقة بضمة : قوله تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا ﴾ [من الآية ٨٣ من النساء] .

ثانيا : الراء

الراء : صوت لثوي متوسط مجهور مستفل ذلقي مكرر ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز نظرا لالتقائهما

وانقباض فتحة المزمار ، ثم يتخذ الهواء طريقه حاملا هذه الذبذبات في الحق ثم في الفم حتى يصل إلى مخرجه ، وهو طرف اللسان عند التقائه بحافة الفك الأعلى مما يلي الأسنان ، فيضيق مجرى الهواء فيحدث نوعاً من الحفيف مع طرق طرف اللسان حافة الحنك مرتين أو ثلاثة حيث تتكون الراء ، ولذلك سمي هذا الصوت مكرر نظراً لتكرار طرق طرف اللسان للثة العليا [١] .

والراء نوعان :

(أ) مرققة . (ب) مفخمة .

فالمرققة هي :

(أ) إذا كانت مفتوحة مسبوقة بكسرة أو ياء مد ، مثل : « خسر » ، « الكبيرة » .

(ب) الراء المكسورة مطلقا ، مثل : « رزق » .

(ج) الساكنة التي يسبقها كسر بشرط ألا يليها صوت استعلاء مثل « فرعون » .

---

(١) ويحدد ابن جني مخرج الراء بقوله : « ومن مخرج النون ، غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء » سر الصناعة جـ ١ ص ٥٢ ، ويقول عن صفة التكرير : « ومنها المكرر وهو الراء ، وذلك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير ، ولذلك احتسب في الأمالة بحرفين » نفسه جـ ١ ص ٧٢ .

والمفخمة هي :

(أ) المفتوحة بشرط أن لا يسبقها كسرة قصيرة أو ياء مد ، مثل : « صبروا » .

(ب) الراء الساكنة إذا كانت مسبوقة بفتح مثل : « يرجعون ».

(ج) الراء الساكنة التي يسبقها كسر ويليها صوت استعلاء ، مثل « قرطاس » .

ثالثا :النون

النون : صوت لثوي متوسط مجهور أنفي مستفل ذلقي ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لاقترابهما من بعضهما وانقباض فتحة المزمار عند النطق بهذا الصوت ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق ، وهنا يهبط أقصى الحنك الأعلى فيسد فتحة الفم ، فيتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثا أثناء مروره نوعا من الحفيف الضعيف والذي لا يكاد يسمع ، ومخرج النون عندما يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا مع اللثة .

والنون كالميم ـ كما سنعرف بعد ـ ، والفرق بينهما في المخرج ، فالنون طرف اللسان مع أصول الثنايا واللثة العليا ، ومخرج الميم عند التقاء الشفتين ، أي من الشفتين ، أما الهواء معهما فيمر من

الأنف ـ كما عرفت ـ .

أحكام النون الساكنة والتنوين [١] في القراءات القرآنية :

النون عندما تسكن تتأثر بما يجاورها من أصوات ، لأنها في هذه الحالة تكون متصلة بما بعدها اتصالا مباشراً ، أما المتحركة فلا يتأتى لها هذا الاتصال ، لأننا كما نعرف أن صوت اللين يأتي بعد الصوت الساكن ، فيكون فاصلا بين الصوت الساكن وبين الذي يأتي بعده [٢] .

ويتوقف تأثر النون بما يجاورها من أصوات على مدى قرب المخرج ، ولذلك نجدها أكثر تأثراً عندما يأتي بعدها صوت من أصوات طرف اللسان أو وسطه ، ويقل تأثرها بما بعدها إذا كان المخرج بعيداً ، كأصوات أقصى اللسان ، ويضاف إلى ذلك أمر آخر لا يقل عن عامل قرب المخرج وبعده ، وهو صفة الصوت الذي يأتي بعدها ، فالنون ـ كما عرفنا ـ من الأصوات المتوسطة ، ومن هنا نجد

---

(١) التنوين يعامل معاملة النون الساكنة ، لأنه عبارة عن نون ساكنة كما هو معروف .

(٢) يقول ابن جني : « واعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله أو معه أو بعده » ، ويقول بعد هذا الافتراض : « فمحال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف ، وذلك أن الحرف كالمحل للحركة ، وهي كالعرض فيه ، فلذلك محتاجة إليه ، ولا يجوز وجودها قبل وجوده .. » ، واستخلص بعد كلام كثير أن الحركة تأتي بعد الحرف . انظر : سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ٣٢ - ٣٤ .

تأثرها بالأصوات المتوسطة أكثر من تأثرها بالأصوات الشديدة والرخوة .

فالنون يتوقف تأثرها بما بعدها من الأصوات على عاملين :

١ ـ قرب المخرج واتحاده أو بعده .

٢ ـ قرب الصفة واتحادها أو بعدها .

وفيما يلي أحكام النون الساكنة كما تناولها القراء بإيجاز :

(أ) الإظهار : وهو الاحتفاظ لها بمخرجها ، ويكون ذلك إذا وليها أحد الأصوات الحلقية الستة ، وهي : الهمزة [١] ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والعلة في ذلك ما عرفناه سابقا وهو بعد مخرج النون عن مخرج الأصوات الحلقية ، فمن هنا لم تتأثر النون بهذه الأصوات ، وليس البعد في المخرج وحده كافيا ، بل لا بد من الصفة أيضا ، وهذا واضح .

والأمثلة هي بالترتيب :

قوله تعالى : ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾ [الأنعام : ٢٦] .

قوله تعالى : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ [البينة : ٨] .

قوله تعالى : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ [الكوثر : ٢] .

---

(١) لا يخفى عليك أن الهمزة مخرجها من فتحة المزمار ، أي من الحنجرة ، ولكن القدماء عدوها من أقصى الحلق مما يلي الحنجرة مباشرة .

قوله تعالى : ﴿ فسينغضون إليك رؤوسهم ﴾ [الإسراء : ٥١].

قوله تعالى : ﴿ وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع ﴾ [المائدة : ٣] .

ولا يخفى علينا أن التنوين يأخذ نفس الحكم وهو الإظهار مع أصوات الحلق ، لأنه كما قلنا عبارة عن نون ساكنة ، ومعروف أنه لا يكون إلا في آخر الكلمة ، فإذا وليه أحد الأصوات الحلقية الستة كان حكمه الإظهار أيضا .

(ب) الإدغام : هو فناؤها فناء تاما في الحرف الذي يليها ، وهذا هو الإدغام الكامل ، وقد يكون فناؤها في الصوت الذي يليها فناء جزئيا والميم ، وهو بذلك يتنوع إلى :

١ ـ الإدغام بغير غنة ، فتدغم مع الراء واللام إدغاما كاملا ، وعند إدغامها في الراء تدغم بلا غنة ، ولم يختلف في ذلك لقرب الراء من النون ، مثاله قوله تعالى : ﴿ من ربكم ﴾ [البقرة : من الآية ١٠٥] [1] .

وكذلك تدغم في اللام والميم إدغاما كاملا ، والغنة التي تسمع عند إدغامها في الميم هي غنة الميم المشددة ، وكان ابن عامر يذهب إلى الإدغام مع الغنة إذا كانت النون مع اللام ، وكان أحمد بن صالح

---

(١) انظر : كتاب السبعة ص ١٢٦ .

المصري يحكي عن ورش وقالون عن الإدغام الكامل مع ذهاب الغنة [١].

٢ ـ الإدغام بغنة : فتدغم النون في الياء والواو إدغاما جزئيا ، ويسمع عند إدغام النون في هذين الصوتين شيء من غنة أنفية ، وذلك لأن الباء والواو المسبوقين بنون ساكنة تنطقا مشددتين ، ويتخذ الهواء معهما طريقين في جريانه الأنف والفم معا ، وهذه الظاهرة تسمى الإدغام بغنة ، والغنة نغمة محببة إلى الأذن العربية ، ومثاله : قوله تعالى : ﴿ من وال ﴾ [الرعد : ١١] ، وقوله تعالى : ﴿ وحبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا ﴾ [عبس : ٢٧ - ٢٩] .

ولكن خلف يروي عن سليم عن حمزة إدغام ذلك بغير غنة [٢] .

وكان أبو عمرو والكسائي وأصحاب نافع يدغمون مع غنة [٣] وحجة الفريق الذي لا يبقي الغنة أن الإدغام يتطلب أن يفنى الصوت الأول في الثاني فناء يترتب عليه ألا يبقى له أثر ، بما في ذلك الصفات .

ولكن الفريق الذي يبقي الغنة يقول إن بقاء الغنة بمثابة دليل

---

(١) انظر : كتاب السبعة ص ١٢٦ .
(٢) نفسه ص ١٢٧ .
(٣) نفسه ص ١٢٩ .

وأمارة على الصوت المدغم .

(ج) القلب : وهو قلب النون الساكنة أو التنوين ميما إذا جاء بعدها باء ، وفي هذه الحالة تكون النون قلبت إلى صوت أنفي مثلها ، ويتفق مع الباء في المخرج ، مثاله : قوله تعالى : ﴿ فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ [النمل : ٦٠] ، ويلطق على هذا القلب اسم الإقلاب .

(د) الإخفاء : هو انتقال مخرج النون إلى مخرج [١] الصوت الذي تخفى فيه ، ويتحقق ذلك إذا وليها أحد الأصوات الخمسة عشر الآتية :

القاف ، والكاف ، والجيم ، والشين ، والضاد ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والصاد ، والسين ، والزاي ، والظاء ، والذال ، والثاء ، والفاء .

والفرق بينه وبين الإدغام أن الإدغام فيه إدخال الحرف الأول في الثاني المماثل له فيفنى فيه فناء كليا ، أما هنا فليس فيه إدغام ، بل هو إخفاء فقط بانتقال المخرج إلى الثاني مع بقاء الصفة .

---

(١) الإخفاء ما هو إلا محاولة الإبقاء على النون وذلك بإطالتها ، وهو ما نسميه بالغنة . انظر : الأصوات اللغوية ، د. ربراهيم أنيس ص ٥٩ .

(ب) الطاء، الدال، التاء

ويقال لهذه الأصوات الثلاثة « القطعية » عند القدماء ، لأنها تخرج من قطع الغار الأعلى وهو سقفه [١] .

أولا : الطاء

الطاء : صوت أسناني لثوي شديد مجهور [عند القدماء ، مهموس عند المحدثين] مطبق مصمت ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز نظراً لانقائهما وانقباض فتحة المزمار ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم ، حيث يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، فينحبس الهواء انحباسا تاما ، ثم ينفصل العضوان فينفجر الهواء الذي كان محبوسا عند مخرج الصوت ، ثم يغادر الصوت مع الهواء خارج الشفتين إلى الأذن .

وهذا الصوت من الأصوات التي لحقهـا التغير في طريقة نطقها ، حيث كان في القديم على الصورة التي ذكرناها من تحرك الأوتار الصوتية ، حيث كان مجهوراً ، ولهذا كان نظيره في القديم صوت الدال ، فهما متفقان في المخرج وفي الجهر ، والفرق بينهما أن الطاء مطبقة والدال مستفلة ، فشكل اللسان مع الدال يأخذ شكلا مقعراً ، والدال لا يكون معها على هذه الصورة .

---

(١) انظر : النشر جـ ١ ص ٢٠٠ .

أما في الحديث والذي دلت عليه التجارب في المعامل الصوتية وآلات قياس الأصوات أن هذا الصوت مهموس ، والوتران عند النطق به لا يتحركان ولا يحدثان ذبذبات ، نظراً لبعدهما عن بعضهما وانبساط فتحة المزمار .

ومن هنا كان صوت الطاء كالتاء ، فكلاهما مهموس ، ومخرجهما واحد ، والفرق بينهما أن الطاء مطبقة والتاء مستفلة ، فاللسان مع الطاء يتخذ شكلا مقعرا بخلاف التاء .

والدال هي النظير للصوت المطبق المعروف بالضاد الحديثة ، حيث كانت الضاد القديمة لا نظير لهـا في الفصحى ، يقول سيبويه : « ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا ، والصاد سينا ، والظاء ذالا ، ولخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس شيء من موضعها غيرها »[١].

من هنا يظهر جليا أن وصف القدماء لكل من الضاد والطاء سليم ، وموفق كل التوفيق ، ولا يمكن أن يكونوا أخطأوا مطلقا ، والذي حدث أن هذين الصوتين نالهما من التغير ما نالهما حتى صارا على الصورة التي وجدها المحدثون على الصفة التي عرفناها ، هذا هو موطن الخلاف في الاختلاف في وجهات النظر ، ولا داعي أبداً أن نرمي القدماء بعدم الدقة في وصف هذين الصوتين .

---

(١) الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٦ .

ثانيا :الدال

الدال : صوت شديد أسناني لثوي مجهور مستفل مصمت ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز ، نظرا لأنهما عند نطق هذا الصوت يلتقيان وتنقبض فتحة المزمار ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم ، وعند المخرج يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، ويتصلان اتصالا محكما ، بحيث لا يسمحان للهواء بالمرور ، ثم بعد مدة من الزمن ينفصل العضوان ، فينطلق الهواء الذي كان محجوزاً خلفهما محدثا صوتا انفجاريا ، ولذا كان هذا الصوت شديداً عند القدماء ، أو انفجاريا في اصطلاح المحدثين ، ثم يخرج الهواء من الشفتين إلى الخارج ، والدال كما قلنا هي النظير المنفتح للضاد الحديثة ، والنظير المنفتح للطاء التي وصفها القدماء ، ولم يحدث لهذا الصوت أي تغير في اللسان المعاصر .

ثالثا :التاء

التاء : صوت أسناني لثوي شديد مهموس مستفل مصمت ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فلا يؤثر في الوترين بالاهتزاز نظرا لبعدهما عن بعضهما عند النطق به ، وفتحة المزمار في وضع الانبساط ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق فالفم ، وعند مخرج هذا الصوت يرتفع طرف

اللسان ، فيتصل بأصول الثنايا العليا اتصالا محكما ، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور ، وبعد مدة ينفصل العضوان فينفجر الهواء محدثا صوتا انفجاريا ، ولهذا عد هذا الصوت صوتاً شديداً عند القدماء ، وانفجاريا عند المحدثين ، ولم يحدث لهذا الصوت أي تغيير في اللسان المعاصر كسابقه .

وهذا الصوت هو النظير المنفتح للطاء المطبقة ، والنظير المهموس للدال المجهورة .

(ج) الصاد ، والزاي ، والسين

وهذه الأصوات أطلق عليها القدماء حروف الصفير ، وهذه الأصوات الثلاثة هي الأسلية ، لأنها تخرج من أسلة السلان وهو مستدقه [١] .

أولا : الصاد

الصاد : صوت أسناني رخو مهموس مطبق مصمت ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فلا يؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز نظراً لبعدهما عن بعضهما وانبساط فتحة المزمار ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق ثم الفم ، وعند مخرج هذا الصوت وهو طرف اللسان فويق الثنايا العليا

---

(١) انظر : النشر جـ ١ ص ٢٠١ .

يلتقي طرف اللسان بالثنايا السفلى ، وتقترب الثنايا السفلى من العليا ، وفي هذه الحالة لا يحجز الهواء خلف عضوي النطق ، بل يتسرب الهواء من المنفذ الضيق بينهما محدثا صفيرا مسموعا ، ومن هنا كان هذا الصوت رخواً لعدم حجز الهواء خلف عضوي النطق وأحد أصوات الصفير ، حيث يصحبه صفير مسموع عند مرور الهواء من بين طرف اللسان والثنايا على الصورة السابقة .

ولم يحدث لهذا الصوت أي تغيير في اللسان المعاصر ، بل ظل محافظاً عليه كما هو في الفصحى .

ثانيا : الزاي

الزاي : صوت أسناني رخو مجهور مستفل مصمت ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز ، نظراً لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار عند نطق هذا الصوت ، ولذا كان مجهوراً ، ثم يتخذ الهواء طريقه ماراً بالحلق فالفم ، ثم يلتقي في مخرجه طرف اللسان بالثنايا السفلى ، أو إن شئت قلت فوق الثنايا السفلى التي تقترب من الثنايا العليا ، فيضيق المجرى بحيث يسمح للهواء بالمرور محدثاً صوتاً مسموعاً ، وهو ذلك الصفير الذي يحدث عند مرور الهواء من مخرج هذا الصوت ، ولذا كان هذا الصوت أحد الأصوات المعروفة بأصوات الصفير .

والزاي هي النظير المجهور للسين المهموسة ، وهي مثلها تماما في المخرج والصفات ما عدا صفة الجهر .

هذا ، ولقد احتفظ هذا الصوت بجميع صفاته في اللسان المعاصر .

ثالثا : السين

السين : صوت أسناني رخو مهموس مستفل مصمت ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فلا يؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لبعدهما عن بعضهما وانبساط فتحة المزمار عند نطق هذا الصوت ، ولذا كان مهموسا لعدم اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق به ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق والفم ، وعند مخرجه وهو طرف اللسان فويق الثنايا السفلى كما في الضاد والزاي تماما يضيق المجرى ولا يترك للهواء إلا منفذاً ضيقاً ، فيحدث للهواء عند مروره صوتاً مسموعا كما عرفنا ذلك من قبل .

وفي اللسان المعاصر ينطق بهذا الصوت على الصورة التي كان عليها قديماً .

(د) الظاء، والذال، والثاء

هذه الأصوات أطلق عليها القدماء الأصوات اللثوية [١] .

أولا : الظاء

الظاء : صوت من بين الأسنان رخو مجهور مطبق مصمت ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار عند النطق بهذا الصوت ، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم ، وعند المخرج يلتقي طرف اللسان بأطراف الثنايا العليا ، وعندئذ يضيق مجرى الهواء ويحدث حفيفاً قوياً مسموعا ، ومن الملاحظ أن اللسان حال نطق هذا الصوت ينطبق اللسان على الحنك الأعلى ، بحيث يكون مقعراً ، وتكون بالنسبة للحنك الأعلى بما يشبه الطبق ، ومن هنا كان هذا الصوت مطبقا ومستعليا لارتفاع اللسان حال النطق به .

وتغير هذا الصوت في بعض الكلمات في اللسان المعاصر ، إذ ينطق في بعض الكلمات زايا مفخمة ، وفي بعضها ضاداً ، هذا في الكلام العادي ، أما في تلاوة القرآن الكريم وفي المجالات التي نستعمل فيها الفصحى فلا تغير فيه .

---

(١) انظر : النشر جـ ١ ص ٢٠١ ، ويذكر ابن جني أن مخرج هذه الأصوات : « ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا : مخرج الظاء والذال والثاء » انظر : سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ٥٣ ، أما ابن الجزري فيذكر أن مخارج هذه الأصوات من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا .

ثانيا: الذال

الذال : صوت من بين الأسنان رخو مجهور مستفل مصمت ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فتؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لالتقائهما ببعضهما وانقباض فتحة المزمار ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق والفم ، ثم يضيق المجرى عند مخرج هذا الصوت ، ويتصل طرف اللسان بالثنايا العليا بحيث لا يحجز الهواء ، وإنما يسمح له بالمرور فَيُحْدِث صوتا قويا من الحفيف يكون مسموعا ، ولذلك سمي رخواً لعدم حجز الهواء خلف عضوي النطق حجزاً تاماً ، أو بما يعرف عند المحدثين بالاحتكاكي ، نسبة لاحتكاك الهواء بعضوي النطق عند مروره ، ومخرج الذال هو مخرج الظاء ، إلا أن هذا الصوت غير مطبق ، فاللسان لا يأخذ الشكل المشار إليه عند نطق صوت الظاء كما سبق ذكره .

وهذا الصوت تغير نطقه في اللسان المعاصر في بعض الكلمات إلى الدال ، وإلى الزاي المرققة في بعض الكلمات الأخرى ، هذا في الكلام العادي ، أما في تلاوة القرآن الكريم فلم يحدث أي تغيير في نطقه ، وكذلك عند التحدث في المجالات الأدبية بالفصحى .

ثالثا: الثاء

الثاء : صوت من بين الأسنان ، وهو مهموس مستفل مصمت،

وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فلا يؤثر في الوترين بالاهتزاز لبعدهما عن بعضهما ، وانبساط فتحة المزمار أثناء مرور الهواء مع هذا الصوت ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق والفم ، وعند مخرج هذا الصوت يلتقي طرف اللسان بالثنايا العليا ويضيق المجرى بحيث لا يحجز الهواء حجزاً كاملاً ، بل يمر من خلال المخرج مع إحداث نوع قوي من الحفيف المسموع .

وهذا الصوت هو النظير المهموس للذال ، فهما في المخرج وفي كل شيء ما عدا صفة الجهر ، فالوتران مع الذال يهتزان ، ومع الثاء لا يهتزان ، هذا هو الفرق .

وهذا الصوت في اللهجات المعاصرة تغير إلى التاء أو إلى السين ، أما في القرآن الكريم فلم يحدث فيه أي تغيير ، وكذلك في المجالات الأدبية والتي تتخذ الفصحى لغة الكلام .

(هـ) الفاء ، والباء والميم

وأطلق القدماء على هذه الأصوات اسم الأصوات الشفوية ، وعدوا من بين هذه الأصوات صوت « الواو » التي ليست مداً ، لأن هذه الأصوات تخرج من الشفة ، وإليك تفصيل الكلام على هذه الأصوات .

أولا :الفاء [١]

الفاء : صوت شفوي أسناني رخو مهموس مستفل ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فلا يؤثر في الوترين بالاهتزاز لبعدهما عن بعضهما وانبساط فتحة المزمار ، ثم يتخذ الهواء طريقه في الحلق والفم ، وعند مخرجه تلتقي أطراف الثنايا العليا بباطن الشفة السفلى التقاء غير محكم ، فيمر الهواء محدثا نوعا من الحفيف العالي نظراً لضيق المجرى .

ولذلك كان هذا الصوت رخواً في اصطلاح القدماء ، احتكاكياً في اصطلاح المحدثين ، وفي اللسان المعاصر لم يحدث أي تغيير ، واحتفظ هذا الصوت بجميع صفاته حتى في اللهجات الدارجة .

ولا يوجد لهذا الصوت في العربية الفصحى نظير ، فهو عكس ما نراه في أكثر اللغات الأوربية ، وهو يرمز له بـ « V » .

ثانيا :الباء

الباء صوت شفوي شديد مجهور مستفل مقلقل ، وطريقة

---

(١) جعل القدماء لهذا الصوت حيزا معينا لا يشاركه فيه غيره من الأصوات ، وهو من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا . انظر : سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ٥٣ ، والنشر جـ ١ ص ٢٠١ ، والكتاب جـ ٤ ص ٤٣٣ .

تكوين هذا الصوت كما يلي : يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فيحرك الوترين الصوتيين لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار ، ثم يتخذ طريقه في الحلق والفم ، ثم تنطبق الشفتان انطباقا تاماً بحيث لا يسمحان للهواء بالمرور ويحتجز خلفهما فترة ، ثم تنفرجان فيحدث انفجارا للهواء محدثا ذلك الصوت الانفجاري المسموع ، ولذلك سمي هذا الصوت شدا لحنجرة الهواء ، وحبسه عند نقطة المخرج ، وانفجاريا عند المحدثين نظرا لانفجار الهواء عند النطق بهذ الصوت .

ثالثا :الميم

الميم صوت شفوي متوسط مجهور مستفل (أنفي) ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين مارا بالقصبة الهوائية فالحنجرة ، فيؤثر في الوترين الصوتيين بالاهتزاز لالتقائهما وانقباض فتحة المزمار ، ثم يتخذ طريقه في الحلق ، فإذا وصل إلى الفم هبط أقصى الحنك ، فيسد مجرى الفم ، فيتحول الهواء في التجويف الأنفي محدثاً أثناء مروره نوعاً من الحفيف الضعيف والذي لا يكاد يسمع ، وفي أثناء مرور الهواء من التجويف الأنفي تنطبق الشفتان تماما ، ونظرا لأن الهواء مع هذا الصوت لا يحدث انفجاراً ، وأيضا لم يحدث ذلك النوع من الحفيف القوي ، كان متوسطا .

أحكام الميم الساكنة :

إذا كانت الميم ساكنة فلها أحكام ثلاثة :

(أ) الإدغام بغنة إذا وليها مثلها ، مثل قوله تعالى : « دمر ، ويعمر ، وحمالة ، أم من أسس » .

(ب) الإخفاء عند الباء على ما اختاره الحافظ أبو عمرو الداني وغيره من المحققين ، وذلك مذهب أبي بكر بن مجاهد وغيره ، وهو الذي عليه أهل الأداء بمصر والشام والأندلس وسائر البلاد العربية ، وذلك نحو : يعتصم بالله ، وربهم بهم ، يوم هم بارزون ، فنظر الغنة فيها [١] .

(ج) إظهارها عند باقي الأصوات ، نحو : أنعمت ، الحمد لله ، وهم يوقنون ، ولهم عذاب أليم ، أنهم هم ... .

ويبالغ في إظهارها إذا وليها فاء أو واو ، لئلا يسبق اللسان إلى الإخفاء ، وذلك لقرب المخرجين [٢] .

رابعا : الواو

الواو : صوت رخو مجهور مستفل مصمت ، وطريقة تكوينه : يندفع الهواء من الرئتين ، ثم يمر بالقصبة الهوائية ثم بالحنجرة ، فيؤثر

---

(١) النشر جـ ١ ص ٢٢٢ .

(٢) نفسه ، وسنعرف ما في مخرج الواو بعد إن شاء الله .

في الوترين الصوتيين بالاهتزاز ، ثم يتخذ طريقه في الحلق ، فإذا وصل الفم ارتفع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى بحيث يحدث نوعا من الحفيف ، وأقصى اللسان في هذه الحالة في وضع مرتفع عن المقياس الثامن u ، هذا هو الفرق ، وهو الذي جعل الصوت ساكنا وليس من أصوات اللين ، وحال نطق الواو تأخذ الشفتان وضع الاستدارة ، وهذا ما جعل القدماء يقولون بأن مخرج هذا الصوت من الشفتين ، ولكن الصحيح أن مخرج هذا الصوت من أقصى اللسان كما عرفنا ، ولا مانع من إطلاق صفة « شفوي » على هذا الصوت ، وهذا في نظري رأي له وزنه ووجاهته ، ولأن الشفتين تأخذ شكلاً ووضعاً مميزاً وفريداً [١] ، ولقد سبق أن تكلمنا على الواو عند مقارنتها بالمقياس الثامن المعياري ، ولست مع الرأي الذي نظر للواو والياء على أساس أنها أشباه أصوات اللين [٢] ، ولا مع وصفها بأنها أنصاف حركات [٣] ، لأن هذين الصوتين لهما حيز ومخرج ، وما يحدث عند نطقهما من حفيف لا يحدث مثله مع أصوات اللين ، فهما صوتان ساكنان ، لأن الأصوات إما ساكنة وإمّا لينة ، ولا ثالث لهما ، على أساس ضيق مجرى الهواء من عدمه ، وقد سبق لنا الكلام على تصنيف الأصوات إلى القسمين الرئيسين :

---

(١)

(٢)

(٣) انظر : علم لله ، د. بشر ص ١٧١ .

١ ـ أصوات اللين .

٢ ـ الأصوات الساكنة .

وفصلنا القول على الصنفين بما فيه الكفاية .

وبالله التوفيق .

وبعد أن تكلمنا على الأصوات مع بيان مخارجها وصفاتها وأحوالها ، وما تعرض لبعضها من أحكام ، يحسن بنا أن نعرض لبعض القضايا التي تهم القارئ والباحث كالمقاطع الصوتية ، وقضية النبر ... إلخ .

* * *

المقاطع

بعد أن تكلمنا عن الأصوات التي هي بمثابة اللبنات الأولى للألفاظ ، وعرفنا أن هذه الأصوات إما أصوات لينة ، أو أصوات ساكنة ، وكما عرفنا أن الأولى واضحة في السمع بخلاف الثانية ، والأصوات هذه بنوعيها هي المرحلة الأولى واللبنة الأساسية في تكوين الألفاظ .

ولقد نظر اللغويون إلى الكلام فحللوه إلى وحدات صوتية أكبر من الأصوات المفردة ، وأطلقوا على هذه الوحدات التي تتكون من نوعي الأصوات اللينة والساكنة اسم « المقاطع » .

ذلك أن إصدار جملة من الجمل ، أو لفظ من الألفاظ هو عبارة عن إصدار سلسلة متتابعة من الأصوات ، يتطلب النطق بها القيام بطائفة من عمليات الانفتاح والانغلاق في جهاز النطق لدى الإنسان ، والفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز النطق سواء كان الغلق كاملا أو جزئيا هي التي تمثل « المقطع »[١] .

فالمقطع هو مجموعة من الأصوات المفردة تقع بين كل انفتاح من انفتاحات الفم أثناء الكلام ومن الانفتاح الذي يليه .

والمقطع أصغر وحدة صوتية تتألف من الأصوات المفردة .

---

(١) دروس في علم أصوات العربية ، كان كانتينو ص ١٩١ بتصرف .

« بل إن التقسيم إلى مقاطع قد سبق التقسيم إلى كلمات ، ففي أقدم النصوص الكثير من اللغات لا يفصل بين الكلمات ، ففيها آخر كل كلمة مركب مع مبدأ الكلمة التالية تبعاً لقواعد الكتابة المقطعية ، تلك هي الحال في كتابات الهند القديمة ، وكذلك في الكتابة القبرصية ، وهي بدورها كتابة مقطعية »[١] .

والمقاطع عامة يمكن تقسيمها إلى نوعين رئيسيين :

١ ـ مقطع مفتوح : وهو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل .

٢ ـ مقطع مقفول : وهو الذي ينتهي بصوت ساكن واحد ، أو صوتين ساكنين وهو المزدوج .

ومن تعريف النوعين يتضح لنا أن النوع الأول يشمل نوعين :

(أ) مقطع مفتوح قصير : وهو الذي ينتهي بصوت لين قصير.
(ب) مقطع مفتوح متوسط : وهو الذي ينتهي بصوت لين طويل.

والنوع الثاني يشمل نوعين :

(أ) مقطع مقفول : وهو الذي ينتهي بصوت ساكن .
(ب) مقطع مقفول مزدوج : وهو الذي ينتهي بصوتين ساكنين .

---

(١) اللغة ، فندريس ، ترجمة الدكتور عبد الحميد الدواخلي والأستاذ محمد القصاص ص ٨٥ .

واللغات الإنسانية تختلف في إيثارها بعض الأنـواع من المقاطع ، فبعض اللغات لا يميل إلى المقفولة ، والبعض الآخر يؤثر المقاطع المفتوحة ، ولغتنا العربية رغم ميلها إلى المقاطع الساكنة ، إلا أن بها النوعين : المفتوح والمغلق .

وقد ذكر نحاة العربية القدماء استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة ، وكراهته فيما هو كالكلمة الواحدة ، وأباحوا توالي أربعة مقاطع مغلقة فيما هو كالكلمة الواحدة ، إذ لنا أن نقول : « استفهمتم » (١) .

ودراسة النسج المقطعي في اللغة العربية يظهر لنا أن اللغة العربية تشمل أنماطا معينة من المقاطع ، هي كما يأتي :

أشكال المقاطع في اللغة العربية

المقاطع في اللغة العربية أشكال وأنماط معينة ، هي على الوجه الآتي : ستة مقاطع : الأول والثاني مفتوحان ، والأربعة الأخيرة مقفولة .

١ ـ ويتكون من : ساكن + لين قصير .

مثاله : المقاطع الثلاثة من الفعل ضرب .

---

(١) انظر : الأصوات اللغوية ص ١٦٣ .

٢ ـ ويتكون من : ساكن + لين طويل .
مثاله : المقطع الأول من الفعل نام .

٣ ـ يتكون من : ساكن + لين قصير + ساكن .
مثاله : حرف الجر من .

٤ ـ ويتكون من : ساكن + لين طويل + ساكن .
مثاله : كلمة « ناب » عند الوقف عليها .

٥ ـ ويتكون من : ساكن + لين قصير + ساكن .
مثاله : المقطع الأخير من كلمة « المستقر » عند الوقف عليها .

٦ ـ ويتكون من : ساكن + لين طويل + ساكنان .
ومثاله هو : المقطع الأول من « ضالين » وهو« ضال » ، إذ في بعض القراءات يطيلون ألف المد ، وفي هذه الحالة يتكون هذا المقطع ، وهذا النوع من المقاطع نادر في النثر العربي ، ولا يوجد مطلقا في الشعر العربي [١] .

وبالنظر في أنماط المقاطع هذه ، ونسبة ورودها في اللغة العربية ، تبين لنا أن الثلاثة الأولى أكثر ورودا في اللغة العربية ، ثم يأتي بعدها النوع الرابع ، ويأتي في الغالب في نهايات الكلمات ، ووجوده في حشوهما نادر ، مثل : « مدهامتان » وهو الثاني « هام » .

---

(١) انظر : الأصوات اللغوية ص ١١٤ .

أما النوع الخامس فنادر ، ولا يأتي إلا في نهاية الكلمات عند الوقف غالباً ، وأما النوع السادس فنادر جداً ، ولا يأتي إلا في حال الوقف دائما .

هذا ، والكلمة في اللغة العربية يمكن أن تكون مقطعاً واحداً أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ، ولا يوجد في اللغة العربية أكثر من سبعة مقاطع مطلقا .

وإليك الأمثلة على الرتيب :

١ ـ الكلمات العربية التي تتكون من مقطع واحد مفتوح قصير كواو العطف ، أو مفتوح طويل مثال : « يا » في النداء ، وذو ، وأغلب ما يأتي على هذا النوع وهو النوع الثاني أدوات نحوية ، أما غير الأدوات فقليل ، مثاله : فعل الأمر : عِ ، من وعى .

وقد تأتي الكلمات المكونة من مقطع واحد من النوع الثالث ، مثل : ص ، بل ، يد ، دم .

وقد تكون من النوع الرابع ، مثل : ناب ، في حال الوقف.

وقد تكون من النوع الخامس ، مثل : كلمة « درب » حال الوقف .

٢ ـ وأما الكلمات العربية المكونة من مقطعين مثل : ناموا .

٣ ـ والمكونة من ثلاثة مثل : شرب ، كتب ، ... إلخ .

٤ ـ والمكونة من أربعة مثل : ثمرة ، بلحة ، ... إلخ .

٥ ـ والمكونة من خمسة مثل : ثمرتك ، شجرتك ، بلحتك ، ... إلخ .

٦ ـ والمكونة من ستة مثل : ثمرتكما ، شجرتكما ... إلخ .

٧ ـ والمكونة من سبعة : قوله تعالى : ﴿ فسيكفيكهمو ﴾ .

والكلمات ذات الأربعة والخمسة والستة والسبعة كلها من ذوات الملحقات الصرفية [١] .

ومما لا شك فيه أن معرفتنا لأنواع النسيج في اللغة العربية يسهل علينا معرفة الكلمات التي دخلت العربية ، وهي أصلا ليست من اللغة العربية ، لأن اللغات لا تتفق في طريقة نسج كلماتها ، بل تختلف فيما بينها اختلافا بينا ، فإذا عرفنا أنماط المقاطع التي تنسج منها الكلمات العربية ـ وهي الأنواع السابقة ـ ، أمكن الحكم على الكلمات التي يأتي نسجها المقطعي مخالفا للمنهج الذي تسير عليه العربية .

فمثلا من الكلمات التي لا تكون عربية :

١ ـ الكلمات المؤلفة من ثمانية مقاطع .

٢ ـ الكلمات المجردة من اللواحق وتشمل أربعة مقاطع من النوع الأول .

---

(١) انظر : مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ص ١٤٣ .

٣ ـ الكلمات المجردة ، وتتكون من مقطع من النوع الثالث ومقطعان من النوع الثاني .

٤ ـ الكلمات المكونة من ثلاث مقاطع ، الأول فيها من النوع الثاني ، والثاني والثالث من النوع الثالث .

هذه الكلمات على سبيل المثال لا تكون عربية ، لأن هذا النسج غير عربي ، ولا يتسع المجال لذكر جميع الأشكال التي لا تأتي عليها الكلمات في اللغة العربية .

من هنا يظهر لنا أهمية دراسة المقاطع للوقوف على ما يلائم هذه اللغة ، وما لا يسمح به في لغة أخرى .

هذا بالإضافة إلى أمر لا يقل أهمية عن سابقه ، وهو أن دراسة المقاطع في لغتنا العربية يسهل لنا مهمة تحديد موقع النبر من الكلمة ، وهو ما سوف نبينه فيما يلي إن شاء الله تعالى .

* * *

النبـــر

النبر هو الضغط على مقطع معين من الكلمة ، وعند النبر تنشط جميع أعضاء النطق في وقت واحد ، ويقول كانتو في تعريفه :

النبرة هي إشباع مقطع من المقاطع بأن تقوي إما ارتفاعه الصوتي ، أو شدته ، أو مداه ، أو عدة عناصر من هذه العناصر في نفس الوقت ، وذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة [١] .

ويجدر العناية بالتمييز بين نبر الكلمة ونبر الجملة [٢] .

ومن الملاحظ أنه عند النبر على مقطع معين من الكلمة أن جميع أعضاء النطق تنشط نشاطا ملحوظاً ، ونعني جميع الأعضاء بما فيها الرئتان والأوتار الصوتية والفراغات الرنانة المقوية للصوت ، وباقي أعضاء النطق الأخرى .

ونطق اللغة لا يكون سليما وصحيحا إلا إذا لوحظ موطن النبر من الكلمة .

وموضع النبر من الكلمة من الأمور التي تختلف فيها اللغات الإنسانية ، إذ منها ما يخضع لقانون خاص بموطن النبر في كلماته

---

(١) دروس في أصوات العربية ص ١٩٤ .

(٢) انظر : السابق ص ١٩٤ .

كاللغة العربية ، واللغة الفرنسية ، ومنها ما لا يكاد يخضع لقاعدة معينة كاللغة الإنجليزية [١] ، ونبر الكلمات في اللغات الهندوأوربية له دور بارز في التمييز بين الصيغ النحوية ، أو بين الكلمات ، وذلك بحسب مكان وقوعها منها ، أو بحسب جنسها ، ولذلك عالج النحاة الهنود واليونانيون واللاتينيون مسألة نبر الكلمة ، ومكان النبر .

واللغة العربية لها نظام معين في نبر الكلمات ، إلا أن هذا النظام وهذه القواعد لا تعتمد في الحقيقة على أية رواية قديمة ، فلم يذكرها النحاة العرب الذين وصفوا اللغة العربية بدقة وبراعة أدهشت المحدثين ، وكانت محل إعجابهم .

إلا أننا نستطيع تحديد موطن النبر من خلال قراءة القرآن الكريم ، إذ أن القرآن الكريم هو النص الذي تلقاه الخلف من السلف ولم ينله أي تحريف أو تحوير ، وهذا من فضل الله على اللغة العربية التي كانت لسان الوحي الباقي والمعجز إلى يوم القيامة .

ويمكن معرفة موضع النبر في الكلمات العربية بدقة وعناية على ضوء سماعنا لقراء القرآن المجيدين في عصرنا هذا .

---

(١) انظر : الأصوات اللغوية ص ١١٩ ، يقول د. إبراهيم أنيس : « إن بعض الكلمات الإنجليزية يختلف استعمالها باختلاف موضع النبر فيها ، فبعض الكلمات لا يفرق بينها حين تستعمل فعلا أو اسما إلا اختلاف موضع النبر » .

هذه القواعد هي [١] :

١ ـ إذا كان المقطع الأخير من الكلمة من النوعين الرابع والخامس كان هو موضع النبر ، ولا يكون هذا إلا في حالة الوقف ، كما نعرف مثاله في الوقف على قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ { نستعين } ، وقوله تعالى : ﴿ إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ { المستقر } ، فالنبر في الأول على « عين » ، وفي الثاني على « قر » .

٢ ـ وإذا لم يكن المقطع الأخير من النوعين السابقين نظرنا للمقطع قبل الأخير ، فإذا كان من النوعين الثاني والثالث كان النبر عليه ، وهذا الموضع هو موطن النبر في الكثرة الغالبة من الكلمات العربية ، وكذلك يكون النبر على المقطع قبل الأخير إذا كان من النوع الأول ، بشرط ألا يسبق بمثله ، مثل : يكتب ، وشارك ، فالمقطع قبل الأخير من النوع الأول في هاتين الكلمتين ، ولم يسبق بمثله .

٣ ـ النبر على المقطع الأول : وذلك إذا كان المقطع الثاني من الكلمة من النوع الأول وسبق بمثله ، أي بمقطع من النوع الأول ، في هذه الحالة يكون النبر على المقطع الأول ، أو بعبارة أخرى على المقطع الثالث حين نعد المقاطع من الآخر فالوسط فالأول ، أي عكسياً .

---

(١) يلاحظ أن أداة التعريف « أل » لا تعد ضمن مقاطع الكلمة ، أما ما يلحق بالكلمة من ضمائر متصلة ، وكذلك حروف المضارعة ، فهو من مقاطع الكلمة ، وعد المقاطع في الكلمة يراعى حال نطقها ، وفي درج الكلام وبعد التحديد لا يهم أن تنطق مدرجة أو موقوفا عليه ، لأن النبر لا يعرف موطنه .

مثاله : كتب ، شرب ، فرح ، فالنبر على المقطع الأول وهو الكاف ، والشين ، والفاء ، مع ملاحظة أن هذه الأصوات الساكنة مع الصوت القصير وهو الفتحة ، لأن هذا المقطع يتكون كما عرفنا من : صوت ساكن + صوت قصير .

٤ ـ النبر على المقطع الرابع : ونعني بالرابع هنا حين نعد المقاطع من الآخر إلى الأول ، أي من آخر الكملة إلى أولها ، وهذا لا يكون إلا في حالة واحدة ، وهي نادرة ، وذلك أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل المقطع الأخير من النوع الأول ، مثل : شجرة ، فالنبر على المقطع الأول والذي يتكون من : صوت ساكن + صوت قصير ، وهو هنا الياء المشكلة بالفتحة [١] .

هذا في العربية الفصحى ، وهو ما يعنينا ، وهو المقصد الأساسي لهذه الدراسة الصوتية ، حتى نستطيع نطقها النطق السليم كي نحافظ على كتاب الله .

أما في اللهجات العربية المعاصرة ، أو إن شئت قلت : اللسان الدارج أو العامي ، فيخضع لقواعد تختلف عما قلناه ووضحناه ، ولقد بالغ المحدثون في القول بأهمية دور نبر الكلمة في الألسن الدارجة الحديثة مبالغة مفرطة ، فاعتبروا نبر الكلمة المحرك الأول في

---

(١) انظر في قواعد النبر : الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس ص ١٢٠ - ١٢١ ، دروس في أصوات العربية ص ١٩٥ ، ومناهج البحث في اللغة د. تمام حسان ص ١٦١ - ١٦٣ ، والوجيز في فقه اللغة ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

جميع التحويرات التي طرأت على التركيب المقطعي [١] .

ويذكر كانتينو أن نبر الكلمة ضعيف في أكثر الألسن الدارجة في العربية .

* * *

---

(١) انظر : دروس في أصوات العربية ص ١٩٥ ، أفرده بالتصنيف عدد كبير من العلماء ، منهم : أبو جعفر النحاس ، وابن الأنباري ، والزجاجي ، والداني ، والعماني ، والسجاوندي ، وغيرهم .

من أحكام التجويد

التجويد مصدر من الفعل « جود » ، والاسم منه الجودة ضد الرداءة .

والتجويد : الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ ، بريئة من الرداءة في النطق ، أي النطق بها نطقاً جيداً بمعنى جَلْداً متينا قويما .

ومعناه كما يقول ابن الجزري : انتهاء الغاية في التصحيح ، وبلوغ النهاية في التحسين .

والتجويد حلية التلاوة ، وزينة القراءة ، وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ، وراتبها ، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله ، وإلحاقه بنظيره ، وتصحيح لفظه ، وتلطيف النطق به على حال صيغته ، وكمال هيئته ، من غير إسراف ولا إفراط ولا تكلف ، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله : « من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه قراءة ابن أم عبد » ، يعني : عبد الله بن مسعود ، وكان رضي الله عنه قد أعطي حظا عظيما في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله كما أنزل ، وناهيك رجل أحب النبي ﷺ أن يسمع القرآن منه ، ولما قرأ أبكى الرسول ﷺ كما ثبت في الصحيحين .

وأول ما يجب على مريد إتقان قراءة القرآن تصحيح إخراج كل حرف من مخرجه ، وإعطاؤه صفته المعروفة به ليمتاز عن غيره .

وقد قدمنا مخارج الحروف وصفاتها ، لأن ذلك بمثابة الأساس الأول لمن يريد إتقان قراءة القرآن الكريم .

وسوف نذكر بعض أحكام التجويد في هذا المبحث تتميما للفائدة ، وبالله التوفيق .

بين الوقف والابتداء [1]

من الأمور ذات الأهمية الواضحة للعيان معرفة أحكام الوقف والابتداء في قراءة القرآن الكريم ، فهو فن جليل به يعرف كيفية أداء القراءة .

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها ، كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم ، ولقد رأينا اليوم رجلا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما أمره ولا زجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه .

وعن علي في قوله تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ ، قال : الترتيل : تجويد الحروف ومعرفة الوقف .

---

(١) أفرده بالتصنيف عدد كبير من العلماء ، منهم : أبو جعفر النحاس ، وابن الأنباري ، والزجاجي ، والداني ، والعماني ، والجاوندي ، وغيرهم . انظر : الإتقان جـ ١ ص ١٠٩ .

ويقول ابن الأنباري : من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء .

من هنا يظهر لنا أهمية الوقف والابتداء ، لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ، ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل .

أنواع الوقف والابتداء [١] :

الوقف على ثلاثة أوجه :

١ ـ تام . ٢ ـ حسن . ٣ ـ قبيح .

وإليك بيان ذلك :

الوقف التام [٢] : هو الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، ولا يكون بعده ما يتعلق به ، كقوله تعالى : ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴾ .

والوقف الحسن : هو الذي يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن

---

(١) اصطلح الأئمة على أن لأنواع الوقف والابتداء أسماء ، واختلفوا في ذلك. انظر : الإتقان جـ ١ ص ١١٠ ، وسوف نكتفي هنا برأي ابن الأنباري كما نقله السيوطي .

(٢) والوقف التام كما يقول ابن الجزري : أكثر ما يكون في رؤوس الآي ، وانقضاء القصص ، نحو الوقف على « بسم الله الرحمن الرحيم » ، والابتداء : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ . انظر : النشر جـ ١ ص ٢٢٦ .

الابتداء بما بعده ، كقوله تعالى : ﴿ الحمد لله ﴾ ، لأن الابتداء برب العالمين لا يحسن لكونه صفة لما قبله .

والوقف القبيح : هو الذي ليس بتام ولا حسن ، كالوقف على « بسم » من قوله تعالى : « بسم الله » .

ولا يتم الوقف على :

١ ـ المضاف دون المضاف إليه .

٢ ـ المنعوت دون النعت .

٣ ـ الرافع دون مرفوعه وعكسه .

٤ ـ الناصب دون منصوبه وعكسه .

٥ ـ المؤكد دون توكيده .

٦ ـ المعطوف دون المعطوف عليه .

٧ ـ البدل دون مبدله .

٨ ـ إن وكان وظن وأخواتها دون اسمها ولا اسمها دون خبرها.

٩ ـ المستثنى دون الاستثناء .

١٠ ـ الموصول دون صلته اسما كان أو حرفا .

١١ ـ الفعل دون مصدره .

١٢ ـ الحرف دون متعلقه .

١٣ ـ الشرط دون جزائه .

وهناك تقسيمات أخرى للوقف مذكورة في كتب القراءات ،

ونكتفي بما ذكرناه هنا لضيق المكان [١] .

كيفية الوقف على أواخر الكلم :

للوقف على أواخر الكلم في اللغة العربية أوجه متعددة ، والمستعمل منها عند أئمة القراءة تسعة ، وهي :

١ ـ السكون : وهو الأصل في الوقف على الكلمة المحركة وصلا ، لأن معنى الوقف : الترك والقطع ، ولأنه ضد الابتداء فكما لا تبدأ بساكن ، لا يوقف على متحرك ، وهذا هو اختيار كثير من القراء .

٢ ـ الروم : وهو عبارة عن النطق ببعض الحركة ، وعند البعض هو ضعف الصوت في أثناء النطق بالحركة ، حتى يذهب معظمها ، ولا يكون الروم مع الفتحة ، لأن الفتحة خفيفة ، إذا خرج بعضها خرج سائرها ، فلا تقبل التبعيض ، فالروم يختص بالمرفوع والمجزوم والمضموم والمكسور ، بخلاف المفتوح .

٣ ـ الإشمام : وهو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت ، وفسره بعضهم بأنه جعل الشفتين على صورة الحركة ، وكلا التفسيرين واحد .

---

(١) انظر : الإتقان جـ ١ ص ١١٢ وما بعدها .

ويختص الإشمام بالضمة سواء كانت حركة إعراب أم بناء، إذا كانت لازمة .

أما الضمة العارضة ، وميم الجمع عند ضم ، وهاء التأنيث إذا كان موقوفاً عليها بالهاء ، فلا روم في ذلك ولا إشمام .

هذا ، والوقف بالروم والإشمام ورد عن أبي عمرو [١] والكوفيين نصاً ، ولم يأت عن الباقين فيه شيء .

٤ ـ الإبدال : ويكون كما يلي :

(أ) في الاسم المنصوب المنون يوقف عليه بالألف بدلا من التنوين ، ومثله إذن حرف النون ففي حال الوقف يوقف عليها بالألف بدل النون .

(ب) وفي الاسم المفرد المؤنث بالتاء يوقف عليه بالهاء بدلا منها .

(ج) وإذا كان آخر الكلمة الموقوف عليها همزة متطرفة بعد حركة أو ألف ، فإنه يوقف عليها عند حمزة [٢] بإبدالها حرف مد من جنس ما قبلها ، وإن كان ألفاً جاز حذفها .

---

(١) أبو عمرو بن العلاء ، إمام قراء البصرة ، وهو العالم اللغوي المعروف ، ت سنة ١٥٤هـ ، وهو أحد القراء السبعة .

(٢) حمزة أحد القراء السبعة ، وهو من قراء الكوفة ، توفي سنة ١٥٦هـ .

(د) النقل : ويكون فيما آخره همزة بعد ساكن ، فإنه يوقف عليه عند همزة بنقل حركتها إليه ، فيحرك بها ، ثم تحذف هي ، سواء كان الساكن صحيحا مثل : ينظر المرء ـ لكل باب منهم جزء ، أم إذا كان ياء أو واواً أصليين ، وسواء كانتا أحرف مد أو لين ، مثل : المسيء ـ أن تبوء ، سيء ـ قوم سوء .

(هـ) الإدغام : وهو فيما آخره همزة بعد ياء أو واو زائدتين ، فإنه يوقف عليه عند حمزة أيضا بالإدغام بعد إبدال الهمزة من جنس ما قبلها ، نحو : النسيء ، وبريء ، وقروء .

(و) الحذف : ويكون في الياءات الزوائد عند من يثبتها وصلا ، ويحذفها وقفا ، وياءات الزوائد هي التي لم ترسم ، وعددها مائة وإحدى وعشرون ، منها خمس وثلاثون في حشو الآي ، والباقي في رؤوس الآي .

فنافع [١] وأبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو جعفر يثبتونها في الوصل دون الوقف ، وابن كثير [٢] ويعقوب [٣] يثبتان في الحالين ،

---

(١) هو يزيد بن القعقاع المخزومي المدني ، إمام قراء العربية ، وأحد القراء العشرة ، توفي سنة ١٣٠هـ .

(٢) هو عبد الله بن كثير إمام أهل مكة في القراءة ، ولد سنة ٤٥هـ ، وتوفي سنة ١٢٠هـ ، وهو أحد القراء السبعة .

(٣) هو يعقوب بن إسحق الحضرمي ، توفي سنة ٢٠٥هـ ، انتهت إليه رياسة الإقراء في البصرة بعد أبي عمرو بن العلاء ، عالم من علماء النحو والقراءات ، وأحد القراء العشرة .

وابن عامر [١] ، وعاصم [٢] ، وخلف [٣] يحذفون في الحالين ، وربما خرج بعضهم عن أصله في بعضها .

(ز) الإثبات : يكون في الياءات المحذوفة وصلا عند من يثبتها وقفا ، نحو : هادوا ـ وال ـ واق ـ باق .

(ح) الإلحاق : هو ما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت عند من يُلحقها في : عم ـ فيم ـ بم ـ لم ـ مم ، والنون المشددة من جمع الإناث ، نحو : هن ، ومثلهن ، والنون المفتوحة في نحو : العالمين ـ واللذين ـ والمفلحون ، والمشدد المبني نحو : ألا تعلو علي ، وخلقت بيدي ، ومصرخي ، ولدي .

وهناك إجماع على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالا وإثباتا وحذفا ووصلا وقطعا .

إلا أنه ورد عنهم خلاف في أشياء بأعيانها ، كالوقف بالهاء على ما كتب بالتاء ، وإلحاق الهاء فيما تقدم من نحو : عم ، وغيره ، وبإثبات الياء في مواضع لم يرسم بها ، والواو في : ويدع الإنسان ،

---

(١) هو عبد الله بن عامر إمام القراء في الشام ، وأحد القراء السبعة ، توفي بدمشق سنة ١١٢هـ .

(٢) هو عاصم بن بهدلة بن أبي النجود ، أحد القراء السبعة ، انتهت إليه رياسة القراءة بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي ، توفي آخر سنة ١٢٧هـ .

(٣) هو خلف بن هشام البزار ، وهو أحد القراء العشرة ، وهو من رواة حمزة ، وتوفي ببغداد سنة ٢٢٩هـ .

يوم يدع الداع ، سندع الزبانية ، ويمح الله الباطل ، والألف في : أيه المؤمنون ، أيه الساحر ، أيه الثقلان .

وتحذف النون في « وكأين » حيث وقع ، فإن أبا عمرو يقف عليه بالياء ، ويوصل « أياماً » في الإسراء ، و« مال » في النساء والكهف والفرقان ، وسأل وقطع ونبأن ، ويكأنه وألا يسجدوا ، ومن القراء من يتبع الرسم في الجميع .

بين المد والقصر

روي أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقرئ رجلا ، فقرأ الرجل : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » مرسلة ، فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ ، فقال : كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أقرأنيها : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين » فمدوها (١) .

فالمد والقصر من المباحث ذات الأهمية التي لا تخفى على أحد وسوف نلقي الضوء على هذا المبحث فيما يلي :

المد : هو زيادة في طول حرف المد عن المد الطبيعي ، والمد الطبيعي هو الأصلي وهو الذي لا تقوم ذات الحرف المد دونه ، ومقداره حركتان ، والحركة من الإصبع أو ثنيه .

---

(١) أخرجه الطبراني ، وانظر : الإتقان جـ ١ ص ١٢٧ .

والقصر : هو ترك تلك الزيادة وإبقاء المد الطبيعي على حاله.

وقد ذكرنا في دراستنا لأصوات اللين أن طول الصوت اللين أو قصره لا يغير موضع المخرج ، والفرق بين الطويل والقصير هو فرق في الكمية ، أي فرق في زمن النطق فقط ، وأصوات اللين الطويلة هي ما يعرف عند القدماء بحروف المد ، وحروف المد هي :

١ ـ الألف مطلقا لأنها ساكنة وقبلها مفتوح دائما .
٢ ـ الواو الساكنة وقبلها مضموم .
٣ ـ الياء الساكنة وقبلها مكسور .

والمد نوعان : أصلي وهو الطبيعي ، ومد فرعي : وهو الزائد على المد الأصلي في حروف المد المذكورة ، وله سببان :

١ ـ السبب اللفظي .
٢ ـ السبب المعنوي .

فاللفظي : همز أو سكون ، فالهمز يكون بعد حرف المد وقبله ، فإن كان معه في كلمة واحدة فهو المد الواجب المتصل ، ومثاله : أولئك ، شاء الله ، ومن سوء ، ويضيء ، وإن كان قبله فهو المد البدل ، ومثاله : آدم ـ إيمان ـ وأوتوا .

وإن كان حرف المد آخر الكلمة والهمز أول الكلمة الثانية فيسمى المد الفرعي الجائز المنفصل ، ومثاله : قوله تعالى : « بما أنزل

إليك ، قالوا آمنا ، في أنفسكم » .

ويسمى في الآيتين فرعيا ، إلا أنه في الأولى واجب متصل ، وفي الثانية جائز منفصل ، وإذا كانت الهمزة قبل حرف المد سمي « المد البدل » ، لأن في الثانية أبدلت حرف مد .

والمد الفرعي بسبب وجود السكون بعد حروف المد قسمان :

(أ) مد لازم : ويكون ذلك إذا كان السكون لازما ، وهو الذي لا يتغير حاله ، لأن السكون في بنية الكلمة ، ومثاله : « الضالين ـ الم ـ تحاجوني » .

(ب) مد جائز ، ويكون ذلك إذا كان السكون الذي بعده عارضاً ، وذلك في حال الوقف ، ومثاله : العباد ـ نستعين ـ موقنون حال الوقف على هذه الكلمات .

وقد أجمع القراء على مد الفرعي المتصل [وهو الذي تأخرت فيه الهمزة عن حرف المد] ، وذي الساكن اللازم ، وإن اختلفوا في مقداره ، واختلفوا في مد النوعين الآخرين ، وهما : المنفصل ، والساكن العارض ، وفي قصرهما [1] ، وأما المد البدل هو ما تقدم فيه الهمز ، فحكمه الجواز لقصره لحركتين عند الجميع ، وجوازه عند ورش فقط .

---

(١) انظر : الإتقان جـ ١ ص ١٢٧ وما بعدها ، وانظر : النشر جـ ١ ص ٣١٣ وما بعدها .

وأما السبب المعنوي كقصد المبالغة في النفي للتعظيم نحو : لا إله إلا الله ، والذي يعنينا في هذا المبحث هو السبب اللفظي ، وقد عرفته .

مما سبق نستنتج ما يأتي :

١ ـ أسباب المد شيئان : لفظي [همزة أو سكون] ، ومعنوي .

٢ ـ الهمز سبب لأنواع المد الثلاثة :

(أ) المتصل ، مثل : ما جاء .

(ب) والمنفصل ، مثل : يا أيها .

(ج) والبدل ، مثل : آمنوا .

٣ ـ أحكام المد ثلاثة ، هي :

(أ) الوجوب ، وله نوع واحد ، وهو المد المتصل ، وهو ما جاء فيه بعد حرف المد همزة في كلمة واحدة ، وقد أجمع القراء على مده ، واختلفوا في الكمية ، فحفص يمده مقدار أربع حركات أو خمس في الوصل ، أما في الوقف فست حركات .

(ب) الجواز ، وله أنواع كثيرة ، سنذكر منها ثلاث أنواع وهي :

١ ـ المد المنفصل : وهو ما جاء فيه بعد حرف المد همزة منفصلة في كلمة أخرى ، مثل : بما أنزل ـ قالوا آمنا ـ وفي أنفسكم .

٢ ـ المد العارض للسكون : وهو ما جاء فيه بعد حرف المد سكون عارض في حال الوقف فقط ، مثل : العالمين .

٣ ـ المد البدل ، وهو ما كانت الهمزة فيه متقدمة على حرف المد ، وسمي بدلا لأن الهمزة الثانية أبدلت حرف مد مثل من .

(ج) اللزوم : له نوع واحد ، وهو ما جاء فيه بعد حرف المد سكون لازم في حالة الوصل والوقف ، مثل : صاخة ، وحكم هذا المد اللزوم للزوم مده ست حركات من غير زيادة ولا نقص عند جميع القراء .

وفي حال الوقف عليه إذا كان مرفوعا مثل « ولا جان » فيه ثلاثة أوجه : السكون المحض ، والروم ، والإشمام ، وإن كان مجرورا فيه وجهان : السكون المحض ، والروم ، وإن كان منصوبا ففيه السكون المحض فقط .

٤ ـ المد الطبيعي مقداره حركتان ، والحركة قبض الإصبع أو بسطه ، ويعبر عنه بالألف ، فالألف مقدارها حركتان ، والمد غير الطبيعي مقداره أربع حركات أو خمس أو ست .

فواتح السور في ضوء أحكام المد والقصر :

١ ـ ألم : تنطق هكذا : « ألف لام ميم » ، تشد الميم الأولى ، وتمد لا والياء مداً زائداً .

٢ ـ الر : تنطق هكذا : « ألف لام را » بدون نطق همزة بعد لفظة را ، ويقتصر في مده على المد الطبيعي وهو حركتان .

٣ ـ المر : تنطق هكذا : « ألف لام ميم را » ، تشدد الميم الأولى ، ولا تنطق همزة بعد لفظ را ، ويقتصر في مدها على المد الطبيعي ، وهو حركتان ، أما الياء فتمد مدا زائداً .

٤ ـ كهيعص : ينطق هكذا : « كاف ها يا عين صاد » ، لا تنطق همزة بعد لفظة ها ، وتمد ياء لفظة عين لالتقاء الساكنين ، وتمد الصاد مداً زائداً .

٥ ـ طه : تنطق هكذا : « طاها » ، يقتصر في كل منهما على المد الطبيعي ، وهو حركتان أو بمقدار ألف .

٦ ـ طسم : وتنطق هكذا : « طا سم ميم » بدون همزة بعد لفظة طا ، ومع تشديد اليم الأولى ومد الألف وكل من اليائين مدا زائدا .

٧ ـ طس : وتنطق هكذا : « طا سين » ، تمد الطاء مدا طبيعيا ، أي بمقدار حركتين فقط ، ويجوز زيادة مد الياء مدا زائدا .

٨ ـ يس : وتنطق هكذا : « يا سين » ، تمد الياء مدا طبيعيا ، أي بمقدار حركتين فقط ، ويجوز زيادة مد الياء مدا زائدا .

٩ ـ ص : وتنطق هكذا : « صاد » تمد مدا زائدا .

١٠ ـ حم : تنطق هكذا : « حا ميم » ، تمد الحاء مدا طبيعيا بمقدار حركتين ، وتمد الياء مدا زائدا .

١١ ـ عسق : وتنطق هكذا : « عا بين سين قاف » ، تمد ياء عين لالتقاء الساكنين ، وكذلك تمد ياء سين وألف قاف مدا زائدا .

١٢ ـ ق : وتنطق هكذا : « قاف » ، تمد مدا زائدا .

١٣ ـ ن : وتنطق هكذا : « نون » تمد مدا زائدا .

بين الفتح والإمالة

الفتح كما ينبه ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر هو فتح القارئ لفيه بلفظة الحرف ، ويقال له أحيانا النصب .

والإمالة : هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء كثيراً وهو المحض ، ويقال له أيضا : الاضطجاع والبطح والكسر ، وهو بين اللفظين [1] .

وقد بينا كيفية النطق بالفتحة إذا كانت قصيرة ، وبألف المد إذا كان صوت اللين طويلا ، ثم بينا أيضا كيفية نطق الإمالة وموضعها وعلاقتها بالمقاييس المعيارية حتى يكون القارئ على بينة من هذه الأصوات ، ويهمنا هنا أن نذكر بعض ما ورد في هذه الظاهرة على

---

(١) أنظر : الإتقان جـ ١ ص ١٢٠ ، وانظر : النشر جـ ١ ص .

ضوء ما ذكر في كتب القراءات :

يقول الداني : الفتح والإمالة لغتان مشهورتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم .

فالفتح لغة أهل الحجاز ، والإمالة لغة عامة أهل نجد وتميم وأسد وقيس ، والأصل فيها حديث حذيفة مرفوعاً : « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم وأصوات أهل الفسق وأهل الكتابين » ، ثم يقول : « فالإمالة من الأحرف السبعة من لحون العرب وأصواتها » .

والإمالة قسمان :

(أ) إمالة شديدة .

(ب) إمالة متوسطة .

فالشديدة وهي القريبة من الكسرة أو الياء ، ويجتنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه .

والمتوسطة هي التي بين الفتح المتوسط [١] والإمالة الشديدة .

والعلماء مختلفون في أنهما أوجه وأولى ، ولكن الداني يقول :

---

(١) قسم القراء الفتح إلى نوعين : شديد ، ومتوسط ، فالشديد : هو نهاية فتح الشخص بلفظ الحرف ، ولا يجوز في القرآن الكريم ، بل هو معدوم في لغة العرب ، والفتح المتوسط .

وأنا أختار الإمالة الوسطى التي هي بين بين لأن الغرض من الإمالة حاصل بها وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء ، والتنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع ، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء .

أسباب الإمالة :

يقول ابن الجزري إنها ترجع لشيئين ، أحدهما : الكسرة ، والثاني : الياء ، وكل منهما متقدما على محل الإمالة من الكلمة ومتأخرا عنه ، ويكون أيضا مقدرا في محل الإمالة ، وقد يكون الكسرة والياء غير موجودتين في اللفظ ، ولا مقدرتين في محل الإمالة ، ولكنهما مما يعرض في بعض تصاريف الكلمة ، وقد تمال الألف أو الفتحة لأجل ألف أخرى أو فتحة أخرى ممالة ، ونسمي هذه إمالة لأجل إمالة ، وقد تمال الألف تشبيها بالألف الممالة ، ثم يضيف ابن الجزري سببين آخرين ، وهما الإمالة بسبب كثرة الاستعمال ، والإمالة التي تكون للفرق بين الاسم والحرف ، وبذلك تكون أسباب الإمالة اثنى عشر سببا .

والقراء العشرة أمالوا إلا ابن كثير ، فإنه لم يمل شيئا في جميع القرآن ، وأما ما يمال فموضع استيعابه كتب القراءات ، والكتب التي عالجت ظاهرة الإمالة في القرآن الكريم ، والمتخصصة في هذا المبحث .

وسوف نذكر هنا فقط ما يدخل تحت ضابط :

حمزة والكسائي وخلف ، أمالوا :

١ ـ كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن في اسم أو فعل ، مثل الهدى ، وأتى ... إلخ .

٢ ـ وكل ألف تأنيث على فعلى ، سواء كانت الفاء مضمومة أو مكسورة أو مفتوحة ، مثل : بشرى ، القربى ، ضيزى ، وألحقوا بذلك : موسى ، عيسى ، يحيى .

٣ ـ كل ما كان على وزن فعال بالضم أو بالفتح ، مثل : سكارى ، يتامى .

٤ ـ كل ما رسم في المصاحف بالياء ، مثلى : بلى ، متى ، ويا أسفى ، ويا ويلتى ، ويا حسرتى ، وأنى للاستفهام .

واستثنى من ذلك : حتى ، إلى ، على ، لدى ، وما زكى فلم تمل بحال .

٥ ـ وكذلك أمالوا من الواوي ما كسر أوله أو ضم ، : الربا كيف وقع ، والضحى كيف جاء ، والقوى ، والعلى .

٦ ـ وأمالوا رؤوس الآي من إحدى عشرة سورة جاءت على نسق ، وهي : طه ، والنجم ، وسأل ، والقيامة ، والنازعات ، وعبس ، والأعلى ، والشمس ، والليل ، والضحى ، والعلق .

ووافق على هذه السور أبو عمرو بن العلاء وورش القارئ المصري .

وأمال أبو عمرو كل ما كان فيه راء بعد ألف بأي وزن كان ، مثل : ذكرى ، بشرى ، أسرى ، وآراه ، واشترى ، وترى ، والقرى ، والنصارى ، وأسارى ، وسكارى .

ووافق على ألفات فعلى كيف أتت .

وأمال أبو عمرو والكسائي كل ألف بعدها راء متطرفة مجرورة ، مثل : الدار ، الفار ، القهار ، الغفار ، الديار ، الكفار ، وأبصارهم ، وأدبارها ، وأشعارها ، وحمار ، سواء كانت الألف أصلية أم زائدة .

وأمال حمزة من عين الفعل الماضي من عشرة أفعال ، وهي : زاد ـ شاء ـ جاء ـ خاب ـ ران ـ خاف ـ زاغ ـ طاب ـ ضاق ـ حاق ، حيث وقعت ، وكيف جاءت .

وأمال الكسائي هاء التأنيث وما قبلها وقفاً مطلقاً بعد خمسة عشر حرفاً ، يجمعها قولك : « فجئت زينب لذود شمس » .

وتفتح مطلقاً بعد عشرة أحرف ، وهي : « جاع + حض ضغط قظ » .

والأربعة الباقية وهي « الهر » إن كان قبل كل منها ياء ساكنة أو كسرة متصلة أو منفصلة بساكن تميل ، وإلا تفتح ، وباقي الأحرف فيها خلاف وتفصيل ولا ضابط لها ، فيرجع لها في كتب هذا الفن .

فواتح السور في ضوء الفتح والإمالة:

« الر » في السور الخمسة أمالها كل من حمزة والكسائي وخلف وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر .

وجعلها بين بين ورش .

وأمال الهاء من فاتحة سورة مريم وطه كل من أبي عمر والكسائي وأبي بكر .

وأمال حمزة وخلف طه دون مريم .

وأمال الياء من أول مريم من أمال الراء إلا أبا عمرو على المشهور عنه ، ومن أول يس حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر .

وأمال هؤلاء الأربعة من طه وطسم وطس والحاء من حم في السور السبع ، ووافقهم في الحاء ابن ذكوان [١] .

---

(١) الإتقان جـ ١ ص ١٢١ وما بعدها .

بين الإظهار والإدغام

الحروف المتجاورة تختلف في نسبة تأثرها بعضها ببعض ، فقد يكون التأثر في الصفات بأن ينقلب الحرف من الجهر إلى الهمس ، أو من الهمس إلى الجهر .

وأقصى ما يصل إليه الحرف في تأثره بما يجاوره أن يفنى في الحرف المجاور فلا يُترَك له أثر ، وفناء الحرف في الحرف هو ما يطلق عليه عند القدماء « الإدغام » .

والإدغام : هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشددا [١] .

وينقسم إلى قسمين :

(أ) الإدغام الكبير . (ب) الإدغام الصغير .

فالإدغام الكبير : ما كان الأول من الحرفين متحركا سواءاً كانا الحرفين مثلين أم جنسين أم متقاربين [٢] .

---

(١) النشر جـ ١ ص ٢٧٤ .

(٢) المثلان : إذ يتفق الحرفان مخرجا وصفة كالباء في الباء ، والتاء في التاء ... إلخ .

المتجانسان : أن يتفق الحرفان مخرجا ويختلفا صفة ، كالزال في الثاء ، والثاء في الظاء ، والتاء في الطاء .

والمتقاربان : أن يتقارب الحرفان مخرجا أو صفة أو مخرجا وصفة ، فالتقارب في المخرج والاتحاد في الصفة مثل الحاء والهاء ، والتقارب في المخرج والصفة مثل اللام والراء ، والتقارب في المخرج والتباعد في ==

وشرطه : أن يلتقي الحرفان خطا ولفظا ، أو خطا لا لفظا ، ليدخل نحو : « إنه هو » ، ويخرج نحو : « أنا نذير » .

وسببه : التماثل والتجانس والتقارب ، ويقول ابن الجزري : والأكثرون يكتفون بالتماثل والتقارب .

وموانعه ثلاثة ، هي :

١ ـ كون الأول تاء ضمير سواء كان متكلما أو مخاطبا نحو : « كنت ترابا » ، « أفأنت تسمع » ، « خلقت طينا » ، « جئت شيئا إمرا » .

٢ ـ وإذا كان الحرف الأول مشدداً فكذلك يمتنع الإدغام نحو : « رب بما » ، « مس سقر » ، « أو أشد ذكرا » .

٣ ـ وكذلك إذا كان الحرف الأول منونا يمتنع الإدغام ، لأننا كما نعرف أن التنوين نون ساكنة تلحق آخر الاسم المنون ، ومن هنا كانت هذه النون فاصلة بين المثلين أو المتقاربين ، وبذلك ينتفي سبب الإدغام للفصل بينهما ، نحو : « غفور رحيم » ، « سميع عليم » ، « رجل رشيد » ، « لذكر لك » .

والإدغام الكبير مشهور بنسبته لأبي عمرو بن العلاء أحد أئمة

== الصفة مثل الدال والسين ، والتقارب في الصفة والتباعد في المخرج مثل الشين والسين .

القراء العشرة ، ولم ينسب لغيره من هؤلاء الأئمة ، ولكنه ورد عن جماعة خارج الأئمة العشرة كالحسن البصري ، والأعمش ، وابن محيض ، وغيرهم [١] .

الإدغام الصغير :

والإدغام الصغير هو الشائع المروي عن جمهور القراء ، وهو الذي يكون الحرف الأول فيه ساكنا ، إذ لا فاصل يفصل بين الحرفين المدغمين ، أما في الإدغام الكبير فالحركة فاصلة بين الحرفين ، ومن هنا سمي كبيرا لتأثيره في إسكان هذه الحركة قبل الإدغام .

والإدغام الصغير يندرج تحته أنواع ثلاثة ، هي :

١ ـ الواجب : وهو كل حرفين التقيا أولهما ساكن وكانا مثلين أو جنسين ، في هذه الحالة يجب الإدغام لغة وقراءة .

فالمثلان مثل : اضرب بعصاك الحجر ، وقد دخلوا ، وقل لهم ، والجنسان نحو : قال طائفة ، وقد تبين ، إذ ظلمتم ، بل ران ، هل رأيتم ، قل رب .

٢ ـ الممتنع : ويمتنع الإدغام إذا كان الحرف الأول الساكن حرف مد ، مثل : قالو وهم ، ومثل : الذي يوسوس ، أو أول الجنسين حرف حلق مثل : فاصفح عنهم .

---

(١) الإتقان جـ ١ ص ١٢٣ .

والسر في عدم إدغام حرف المد الساكن في الحرف الذي يليه واضحة للعيان ، وإن كان لم يرد لها تعليل من الغالبية العظمى التي تناولته سواء في القديم أو في الحديث ، السر في ذلك أن حرف المد كما عرفنا من خلال دراستنا الصوتية لَيِّن والحرف التالي له صوت ساكن ، فهما صنفان لا صنف واحد ، فالمد صوت لين ، والذي بعده صوت ساكن أو صامت أو ساكن أو حرف في عرف القدماء ، من هنا يظهر لنا السر في عدم إدغامه في الثاني .

أما العلة في الثاني أن حروف الحلق أنها ليست بأصل للإدغام كما يقول المبرد في كتابه المقتضب [١] .

٣ ـ الجائز : وهو الذي جرت عادة القراء بذكره في كتب الخلاف ، لأن هذا النوع هو الذي اختلف القراء فيه ، وهو نوعان :

(أ) إدغام حرف من كلمة في حروف متعددة من كلمات متفرقة ، وتنحصر في : إذ ، وقد ، وتاء التأنيث ، وهل ، وبل .

إذ : اختلف في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف ، هي : التاء ، والجيم ، والدال ، والزاي ، والسين ، والصاد .

قد : اختلف في إدغامها عند ثمانية أحرف ، هي : الجيم ، والذال ، والزاي ، ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والظاء .

---

(١) انظر : الأصوات اللغوية ص ١٣٤ .

تاء التأنيث : إختلف في إدغامها عند ستة أحرف : الثاء ، والجيم ، والزاي ، والسين ، والصاد ، والظاء .

هل وبل : اختلف في إدغام لامهما فيما بعدها عند ثمانية أحرف تختص بل منها بخمسة أحرف ، هي : الزاي ، السين ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، وتختص هل بحرف واحد ، وهو : الثاء ، ويشتركان في اثنين ، وهما : التاء ، والنون .

(ب) والنوع الثاني : الإدغام الجائز : هو إدغام حروف قربت مخارجها ، وهي سبعة عشر حرفاً اختلفت فيها ، وهي : الباء عند الفاء « أو يغلب فسوف » ، والباء عند الميم « يعذب من يشاء » في البقرة ، « اركب معنا » في هود ، والفاء عند الباء « نخسف بهم » في سبأ ، والراء الساكنة عند اللام « يغفر لكم » ، واللام الساكنة في الذال « من يفعل ذلك » حيث وقع ، ... إلخ .

* * *

أحكام النون الساكنة والتنوين

سبق أن تعرضنا لأحكام النون الساكنة والتنوين عند الكلام على هذا الصوت ، إلا أننا سوف نذكرها هنا على سبيل الإجمال لاندراجها تحت ظاهرة الفك والإدغام ، حتى يكون القارئ على بينة.

النون الساكنة تكون في الاسم والفعل والحرف ، وتكون وسطاً وطرفا ، والتنوين هو عبارة عن نون زائدة ساكنة تلحق آخر الاسماء لفظا ، وتفارقها خطاً ووقفاً .

وللنون والتنوين أحكام أربعة ، هي : الإظهار ـ الإدغام ـ الإقلاب ـ الإخفاء .

أولا : الإظهار [١] ، وينقسم إلى قسمين :

(أ) الإظهار الحلقي . (ب) الإظهار المطلق .

فالإظهار الحلقي يكون مع حروف الحلق التسعة ، بمعنى أن يأتي بعد النون أو التنوين أحد حروف الحلق الستة ، وهي : الهمزة ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء في كلمة واحدة مع النون ، أو في كلمتين مع النون والتنوين ، وقد سبقت أمثلته ، والعلة في

---

(١) لا يخفى عليك أن الإظهار لغة البيان ، واصطلاحا : إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر ، وهو هنا النون ، والنون التي هي نون ساكنة أيضا .

إظهار النون والتنوين بعد المخرج ، وله مراتب ثلاثة ، وهي :

١ ـ أعلى عند الهمزة والهاء .

٢ ـ أوسط عند العين والحاء .

٣ ـ أدنى عند الغين والخاء .

والإظهار المطلق وهو الذي لا يتقيد بحلق أو شفة ، وحروفه أربعة ، وهي : « ينجو » إذا وقعت بعد النون في كلمة واحدة ، وقد وقع هذا النوع في القرآن الكريم في أربع كلمات فقط ، هي : الدنيا ـ بنيان ـ قنوان ـ صنوان .

ثانيا : الإدغام :

الحالة الثانية للنون الساكنة والتنوين الإدغام ، وحروفه ستة يجمعها كلمة : « يرملون » ، بمعنى أن تأتي بعد النون أو التنوين هذه الأحرف ، وينقسم إلى قسمين :

(أ) إدغام بغنة : وحروفه أربعة ، هي في لفظ « ينمو » ، بشرط أن تقع هذه الحروف بعد النون في كلمتين وبعد التنوين ، ولا يكون إلا في كلمتين ، ويسمى الإدغام بغنة إدغاما ناقصا لزوال الحرف وبقاء صفته .

(ب) إدغام بغير غنة ، وله حرفان : اللام والراء .

ثالثا : الإقلاب ، وله حرف واحد فقط ، وهو : الباء ، فإذا وقعت الباء بعد النون في كلمة مثل أنبئهم ، أو في كلمتين مثل : أن بورك ، أو وقعت بعد التنوين ، ولا يكون في كلمتين مثل : « سميع بصير » ، « عليم بذات الصدور » ، قلبت النون والتنوين الذي هو عبارة عن نون ميماً .

رابعا : الإخفاء : وهو عبارة عن النطق بالحرف بين الإظهار والإدغام عار عن التشديد الذي يكون مع الإدغام مع بقاء الغنة في الحرف الأول .

وحروفه هي الحروف الباقية ، وهي خمسة عشر حرفا .

ومراتب الإخفاء ثلاثة ، هي :

١ ـ أعلى عند الطاء والدال والتاء .

٢ ـ أدنى عند القاف والكاف .

٣ ـ أوسط عند باقي حروف الإخفاء .

* * *

أحكام الميم الساكنة

وأيضاً سبق الكلام على أحكام الميم الساكنة، وسوف نذكرها هنا على سبيل الإجمال:

للميم الساكنة قبل حروف الهجاء فيما عدا الألف اللينة ثلاثة أحكام، هي:

أولا: الإخفاء، وله حرف واحد وهو: الباء، فإذا وقعت الميم قبل الباء أخفيت، ويصحبها حينئذ غنة، ويسمى إخفاء شفويا لخروج حروفه من الشفة، ومثاله: « يوم هم بارزون »، وقيل بإظهارها، ولكن الإخفاء أولى للإجماع على إخفائها عند القلب، ووجه الإخفاء أنهما لما اشتركا في المخرج، وتجانسا في بعض الصفات، ثقل الإظهار الخالص والإدغام المحض، فعدل عنه إلى الإخفاء.

ثانيا: الإدغام وجوبا: ويكون عند ميم مثلها، ومثاله: « خلق لكم ما في الأرض »، سواء كانت الميم أصلية أو مقلوبة عن النون والتنوين، ويسمى إدغاماً صغيراً، ويسمى أيضاً إدغاما بغنة.

ثالثا: الإظهار وجوبا من غير غنة عند بقية الأحرف، وهي الستة والعشرون الباقية، ويسمى إظهاراً شفوياً، ويكون في كلمة مثل: « تمسون »، وفي كلمتين مثل: « لعلكم تتقون ».

همزة الوصل

لم نتناول همزة الوصل عند الكلام على تصنيف الأصوات في اللغة العربية ، حيث لم تذكر في الأصوات الساكنة ولا في أصوات اللين ، لذا نرى أن نذكر هذا الصوت في نهاية هذا الكتاب ، حتى يكون القارئ على بينة من أمر هذا الصوت ، وسوف يكون تناولنا له من خلال كتب القدماء [١] .

الغرض من الإتيان بهمزة الوصل :

جيء بهمزة الوصل فوصلا للنطق بالساكن ، لأنه لا يمكن الابتداء بالساكن .

موضع زيادتها :

همزة الوصل موضع زيادتها الفعل ، وقد زيدت في اسماء معلومة وحرف واحد .

---

(١) لأستاذنا الدكتور كمال بشر مبحث طريف عن همزة الوصل ، وقد استخلص منه أن النطق بالساكن في ابتداء الكلام إملائية صوتية يجوز وقوعها في اللغة العربية ، ويرجح أنها وقعت في فترة من الفترات التاريخية في اللغة العربية قبل استحداث ذلك الصوت أو الصويت في أول أنواع معينة من الكلمات .
وهذا الصوت ليس في حقيقة الأمر إلا نوع من التحريك ، وهو نوع من التطوير الصوتي الذي يتغير بتغير الكلام ، وفي السياق يقترح أن نشير إليه بالرمز المتوسط في الأبجدية المعيارية وهو « » . انظر : دراسات في علم اللغة ص ١٣٥ - ١٧٤ ، القسم الأول ، د. كمال بشر .

فالفعل في موضعه : الأول : الماضي الذي تجاوزت عدته أربعة أحرف وأولها الهمزة ، فهي همزة وصل ، وهو الخماسي « انطلق » والسداسي « استخرج » .

الثاني : كل فعل أمر انفتح فيه حرف المضارعة وسكن ما بعده ، مثل : اضرب ، انطلق ، اقتدر .

وأما زيادتها في الأسماء فعلى ضربين :

أحدهما : اسماء هي مصادر ، وهي كل مصدر كانت في أول فعله الماضي همزة وصل ووقعت في أوله هو أيضا همزة هي همزة وصل ، كانطلاق ، واستخراج .

والآخر : الاسماء غير المصادر ، والتي فيها همزة للوصل ، وهي عشرة اسماء معدودة ، منها سبعة جاءت في القرآن الكريم ، وهي : ابن ، وابنة ، وامرئ ، وامرأة ، واسم ، واثنين ، واثنتين ، أما الثلاثة التي لم ترد في القرآن الكريم فهي : است ، وابنم بمعنى ابن ، وأيمن الله في القسم .

وأما الحرف الذي زيدت فيه همزة الوصل فلام التعريف ، وذلك لسكون لام التعريف .

حركة همزة الوصل في اللغة العربية :

وحركة همزة الوصل الكسر في الاسماء والأفعال ، إلا إذا كان

ثالث الفعل مضموما ضم لازما ، فتكون الهمزة مضمومة ، مثل : اخرج ، واقتل .

وكانت الهمزة مضمومة هنا لكراهية الخروج من كسر إلى ضم ولم يعتدوا بالساكن الذي بينهما لأنه غير حصين [١] .

وتفتح همزة الوصل مع لام التعريف ، وذلك لأن اللام حرف والهمزة حرف ، فجعلوا الهمزة معها مفتوحة لتخالف حركتها في الزسماء والأفعال [٢] .

ويذكر الأشموني أن لهمزة الوصل بالنسبة لحركتها سبع حالات : وجوب الفتح وذلك في المبدوء بـ « أل » ، ووجوب الضم وذلك في نحو « انطلق » و« استخرج » مبنيين للمفعول ، وفي أمر الثلاثي المضموم العين في الأصل نحو : اقتل ، واكتب ، بخلاف امشوا وامضوا ، ورجحان الضم على الكسر ، وذلك فيما عوض جعل ضمة عينه كسرة نحو : إغزى قاله ابن الناظم ، وفي تكملة أبي علي أنه يجب إتمام ما قبل ياء المخاطبة وإخلاص ضمة الهمزة .

وفي التسهيل : أن همزة الوصل تشم قبل الضم المشم ، ورجحان الضم على الكسر ، وذلك في أيمن وأيم ، ورجحان الكسر على الضم ، وذلك في كلمة اسم ، وجواز الضم والكسر في

---

(١) انظر : سر صناعة الإعراب جـ ١ ص ١٣٠ - ١٣١ .
(٢) نفسه جـ ١ ص ١٣١ .

الإشمام ، وذلك نحو : اختار وانقاد مبنيين للمفعول ، ووجوب الكسر ، وذلك فيما بقي وهو الأصل .

حكم همزة الوصل إذا دخل عليها همزة الاستفهام :

إذا دخل على همزة الوصل همزة استفهام جذفت عند بعض القراء ، مثاله : « اصطفى البنات من البنين » .

أما إذا وقعت بين همزة الاستفهام ولام التعريف فلا تحذف ، لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ، بل تبدل ألفا وتمد طويلا لالتقاء الساكنين ، أو تُسَهَّل بين الهمزة والألف ، والإبدال أقوى ، وذلك في ست كلمات باتفاق ، وكلمة واحدة عند البعض ، فالكلمة الواحدة هي : « به آلسحر » في يونس عند أبي عمرو ، وأبي جعفر ، وأما الكلمات الست فهي : « والآن » موضعي يونس ، و« آلذاكرين » موضعي الأنعام ، و« آلله أذن لكم بها » ، و« آلله خير » في النمل .

« والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله »

أ.د. عبد الحميد محمد أبو سكين

القاهرة في يوم السبت ٣٠ من المحرم سنة ١٤٠٤هـ

الموافق ٥ نوفمبـــــر سنة ١٩٨٣م

أهم المراجع

- الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس .
- البرهان في تجويد القرآن ، الأستاذ محمد صادق قمحاوي .
- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي .
- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ، تحقيق : د. عبد العالم سالم مكرم .
- دراسات في علم اللغة ، د. كمال بشر .
- دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح .
- دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينو ، تعريب : القرمادي .
- رسالة في علم التجويد ، حامد إبراهيم أحمد .
- كتاب السبعة لابن مجاهد ، تحقيق : د. شوقي ضيف .
- سر صناعة الإعراب ، لابن جني .
- علم اللغة العام والأصوات ، د. كمال بشر .
- علم اللغة ، د. محمود السعران .
- كتاب الفتح المجيد في علم التجويد ، للشيخ محمد بن علي بن خلف الحسيني شيخ المقارئ المصرية ، وشهرته الحداد .
- الكتاب لسيبويه ، تحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون .
- اللغة لفندريس ، ترجمة الدواخلي والقصاص .
- مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان .
- النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري .
- هداية المستفيد في أحكام التجويد ، للشيخ محمد المحمود .
- الوجيز في فقه اللغة ، د. الأنطاكي .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
علم اللغة والأصوات	٧
أهمية الدراسة الصوتية	١٠
الدراسة الصوتية عند قدماء العربية	١٢
الدراسة الصوتية .. نشأتها وتطورها	١٩
مناهج البحث في الأصوات	٢٨
ظاهرة الصوت	٣٣
الصوت الإنساني	٣٦
الجهاز النطقي عند الإنسان	٤١
صفات الأصوات اللغوية	٥٠
الشدة والرخاوة	٥٦
تصنيف الأصوات اللغوية	٦٧
مقاييس الأصوات اللين المعيارية	٧١
أنواع الأصوات المعيارية	٧٨
أصوات اللين في اللغة العربية	٨٠
الأصوات الساكنة في اللغة العربية	٨٨
المقاطع	١٣١
النبر	١٣٨
من أحكام التجويد	١٤٣
بين الإظهار والإدغام	١٦٣
أحكام النون الساكنة والتنوين	١٦٨
أحكام الميم الساكنة	١٧١
همزة الوصل	١٧٢
أهم المراجع	١٧٦
محتويات الكتاب	١٧٧

كتب أخرى للمؤلف

أولا :الكتب:

١ ـ الاشتقاق وأثره في النموّ اللغوي .

٢ ـ فقه اللغة .

٣ ـ المدخل في علم اللغة .

٤ ـ المعاجم العربية .. مدارسها ومناهجها .

٥ ـ مع القراءات القرآنية .

٦ ـ معالم اللهجات العربية .

٧ ـ نظرات في دلالة الألفاظ .

ثانيا :الأبحاث:

١ ـ الأبجدية العربية .. نشأتها وتطورها .

٢ ـ القياس وأثره في النموّ اللغوي .

٣ ـ مع القراءات القرآنية .

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب
١٩٨٣/٥٨٥٠

للكمبيوتر . الطباعة . التصوير
ت : ٢٣٨٠٣٥٥٦ / ٢٥٩٠٩٠٥٠ القاهرة
محمول : ٠١٠٦٥٣٥٥٢٥ / ٠١٠٥٧٥٦٧٦٦٧